رواد الاصلاح ٣

# الشيخ محمد رضا المظفر

## وتطور الحركة الاصلاحية في النجف

الشيخ محمد مهدي الآصفي

مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ محمد رضا المظفر

وتطور الحركة الاصلاحية في النجف

# رواد الاصلاح

سلسلة دورية تعنى بدراسة مشاريع الاصلاح
التي نهض بها الرواد المسلمون تصدرها

**مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي**





المراسلات
باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران
قم: ص ـ ب ٣٦٥١ ـ ٣٧١٨٥
تلفاكس : ٧١١١٩٩(٠٢٥١)



رواد الاصلاح



# الشيخ محمد رضا المظفر

## وتطور الحركة الاصلاحية في النجف

الشيخ محمد مهدي الآصفي

الكتاب الثالث من سلسلة رواد الاصلاح

الطبعة الاولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

# تقديم

تعود النجف في تاريخها العلمي الى زمن الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، بعدما ترك بغداد وفضاءها العلمي ابان الفتنة الطائفية التي اثارها الوالي السلجوقي (٤٥٠ هـ) وحط ركابه قرب مرقد الامام علي (ع) ليؤسس هناك نواة اول حوزة علمية (الجامعة الاسلامية) تعنى بدراسة العلوم الدينية. فبدأت النجف منذ ذلك الحين رحلة الفكر والمعاناة المستمرة.

ورغم ان الحوزة العلمية قد غادرت النجف في فترات محددة الا انها عادت اليها ثانية لتكون مركز استقطاب كبير للجاليات الاسلامية الوافدة لغرض الدراسة والتفقه في الدين.

اما رحلة الفكر فتمثلت بالوتيرة التصاعدية لتطور الفكر والمعرفة الدينيتين حتى بلغتا شأواً كبيراً، بفضل الجهود المتواصلة للعلماء والمفكرين المسلمين من اتباع مدرسة اهل البيت (ع).

وتبقى المكتبة الاسلامية افضل شاهد يؤكد التواصل الفكري الممتد قرابة الف عام. ويؤكد الخصوبة المعرفية التي امتازت بها هذه المدرسة في حقل اختصاصها.

ثمة حقيقة، ان الحوزة اصبحت اضافة الى مرجعيتها في الفتيا وبيان الاحكام الشرعية، مرجعاً قيادياً للطائفة الشيعية، اثبت صدقيتها من خلال

الاحداث الكبيرة والخطيرة ولاسيما في القرن الاخير، فمرحلة المعاناة اذاً تزامنت مع تصدي المرجعية الدينية لمسؤولياتها التاريخية والشرعية وصمودها بوجه العنف الطائفي والسياسي الذي كانت تمارسه الحكومات الجائرة، حيث دأبت على توجيه سهامها القاسية ضد علماء الدين باعتبارهم مصدر قلق يهدد شرعية السلطة ويعري المسحة القدسية الزائفة المتلبسة بها والمترشحة عن الخوف والارهاب والاستبداد الذي تمارسه ضد الامة. فكان ذلك سبباً لمعاناة مدرسة اهل البيت (ع) طوال الفترة الممتدة الف عام، ويؤكد مظلوميتها التاريخية، غير انها لم تتقاعس تجاه واجبها، بل سجلت مواقف شجاعة تركت بصماتها على صفحات التاريخ. ولعل بدايات القرن العشرين اكثر تجلياً لتلك المسؤوليات، حيث قاد علماء الدين في العراق ثورة العشرين (١٩٢٠م) ضد الاحتلال البريطاني لبلادهم. فساروا من النجف الى منطقة الشعيبة في البصرة، يتقدمون جحافل الجيوش الشعبية التي استجابت لنداء المرجعية الدينية.

كما سجلت الحوزة مواقف مشرفة ابان ثورة النجف، وفي وقوفها الى جانب الدولة العثمانية ضد الانجليز، رغم ما عانوه من الحكم العثماني الطائفي. لان المواجهة اصبحت بين الاسلام والكفر، والطرف الاول قد رفع راية الاسلام، فأملى عليهم الواجب الديني التخلي عن الخلافات الداخلية لمواجهة العدو المشترك.

وظل العلماء الى جانب الامة، والامة منقادة لهم في بدايات الدولة القومية في العراق حتى سنوات متأخرة في نهاية القرن الحالي.

والحال ذاته في ايران حيث قاد العلماء ثورة التبغ (التمباكو)، والثورة الدستورية (المشروطة)،والثورة الاسلامية المباركة.

تلك المسيرة المشرقة للحوزة العلمية لا تعيق النفوذ الى داخلها عبر المناطق الهشة فيها لنتابع تيار الاصلاح وما واجهه من معاناة ليمد الحوزة بدم جديد يعيد لها الحياة. وانما عاشت الحوزة الف سنة بفضل المصلحين والمجددين، وان عجز البعض عن ادراك ذلك، وحاول الآخرون طمس الحقائق التاريخية بعيداً عن الموضوعية، واستجابة لارادات غير واعية. ولا نريد ان نلجأ الى كثرة ما نمتلكه من ارقام او نتوسل الى التاريخ في اثبات ذلك، بل يكفي الكتاب الذي بايدينا شاهد حق ضبط معاناة المصلحين وهم يحملون هم الاصلاح والتجديد في الحوزة العلمية. فالكتاب يدور حول ابرز المصلحين في القرن الاخير وهو الشيخ محمد رضا المظفر، والكاتب هو احد طلابه المبرّزين في مجال الوعي الرسالي وأحد قادة الحركة الاسلامية في العراق، وهو الشيخ محمد مهدي الآصفي. وقد كتب الكتاب وفاء لاستاذه سنة ١٣٨٣هـ تحت عنوان (مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها .. خلال من حياة الشيخ الراحل المظفر ودراسة عن الحياة الفكرية في النجف).

ولثراء الكتاب، وكونه وثيقة تاريخية مهمة، قررنا اعادة نشره ضمن سلسلة رواد الاصلاح.

* * *

توافر الشيخ المظفر على وعي كبير لا يلائم مناخات الوسط الذي اكتنفه آنذاك، إلّا انه استطاع ان يخطو خطوات واسعة عبر مشاريعه العملية، وظل وفياً لافكاره في الاصلاح والتجديد.

ومن يتأمل حياة هذا الرجل العظيم تستفيق امامه كل لحظات اليأس المترشحة عن تعقيدات الوضع القائم، والتي تشكل ـ عادة ـ تحدياً يفت بعضد المسيرة. فحينما نقرأ مذكراته عن ولادة مشاريعه الاصلاحية ـ في هذا

الكتاب ـ نستكشف حجم المعاناة عندما تتحول الافكار الى مشاريع يراد لها ان تشق طريقها وسط اللغط المتصاعد ضد اي مشروع اصلاحي، والذي تغذيه عادة نفوس تعيش في دوامة من عدم الوضوح فتشكك في نوايا كل من تحدثه نفسه بالاصلاح والتجديد، عدا بعض من تتضرر مصالحهم، بيقظة الامة وعودتها الى وعيها، الذين يستغلون العواطف النبيلة والبريئة لافراد الامة ويوظفونها لخدمة «الانا» لا لخدمة الدين. فلا نستغرب حينئذٍ من الحملات المسعورة ضد أئمة الاصلاح والتجديد. بل ان ذلك يؤكد العزم على مواصلة مشاريع الاصلاح من اجل ان يبقى الدين حياً وفاعلاً في ضمير الفرد والمجتمع.

فهذا الامام الخميني (رض) يأن من بعض رجال الدين فيقول: «ان رجال الدين العملاء، المتظاهرين بالقداسة والمتحجرين منهم، لم يكونوا قلة يوماً ما، ولن يكونوا. ففي الحوزات العلمية من ينشط ضد الثورة وضد الاسلام المحمدي الاصيل»[1]. ويقول: «اضحى وضع المجتمع الاسلامي هذه الايام بنحو بات فيه متصنعوا القداسة يعيقون تأثير الاسلام والمسلمين، ويطعنون الاسلام باسم الاسلام. واساس هذه الجماعة ـ الممتدة في المجتمع ـ من الحوزات العلمية. ففي حوزات النجف وقم ومشهد وغيرها من الحوزات يوجد اشخاص يحملون روحية التظاهر بالقداسة، ومنهم تسري روحية وافكار السوء في المجتمع باسم الاسلام»[2].

---

(١) الخميني، الامام روح الله، صحيفة النور، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، ج ١٩، ص ٩١.

(٢) الخميني، الامام روح الله، الحكومة الاسلامية، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر

اما الشيخ المظفر فذكر انه ومن حمل معه هّم التغيير قد عاشوا ظروفاً اشبه بالاسطورية، ولاسيما انه في وسط ينبغي ان يكون مصدراً للوعي واليـقظة، غير انه يقول : «ولا ازال احتفظ بمحاضر جـلسات جـماعتي الاولى تـلك وبمذكراتي الخاصة عنها وعن غيرها، وهي على بساطتها تـمثل لي مـقدار التكتم والخوف الذي كان يساورنا وكان عملنا وتفكيرنا مقتصراً على تـفقد المفكرين من اصحابنا الذين يحسون بالداء مثلنا، وبـالرغم مـن مـواصـلة الجلسات والتفكير طيلة عام واحد لم نستطع ان نخرج صوتنا من غرفتنا الا بعض الشيء، ولم نستطع ان نضم الينا اكثر من عشرة اعضاء...»[1].

وعندما تقرر فتح معهد للخطابة يهدف الى اعداد خطباء رساليين ينهضون بمسؤولية المنبر الحسيني بالشكل الذي يتناسب مع اهدافه اجهضت المحاولة سريعاً من قبل النفعيين، اذ «لم يمض على فتح هذا الصف التجريبي قرابة شهر واحد الا وثارت ـ على غير انتظار ـ زوبعة عنيفة على هذه اللجنة، بحجة انها تسعى لتحديد نوع خطابة المنبر الحسيني وتحديد اشخاص الخطباء، وبحجة انها تريد ان تقلص من ذكر الحسين (ع)، وبغير ذلك من التهم الباطلة التـي كانت تكال على هذه اللجنة في حين ان اعضاءها كلهم من مشاهير الخطباء واتقيائهم الذين يحرصون كل الحرص على خدمة الحسين (ع) ومنبره. وما كان تأليفهم اللجنة الا بدافع الاخلاص للدعوة الحسينية لغرض تثقيف ناشئة الخطباء. وقد تكهرب جو النجف بهذه التهم ضد اللجنة مما اضطر معه اصحاب اللجنة الى ان يسرعوا في الغائها تفادياً من وقوع مالا تـحمد عـقباه... وقـد

---

آثار الامام الخميني، ص ٢٠٩.

(١) انظر : الفصل الثاني من الكتاب ، ص ٩٤.

امتحن الشيخ المظفر في هذه المرة امتحاناً عسيراً، وكاد ان يقضي ذلك كله على حياة المؤسسة التي غذاها الشيخ بروحه وفكره باخلاص»[1].

ورغم ما تعرض له الشيخ المظفر من متاعب وآلام سبّبها له المتشددون المتقوقعون في دائرة الذات، او المغرضون الذين ارتبطت مصالحهم بوجود فهم خاطىء للاسلام ومبادئه الا انه استطاع ان ينهض بمشروع عملي تمثل باعداد بعض المناهج الدراسية وتاسيس مدارس منتدى النشر وكلية الفقه. فخلق تياراً من الوعي وانتج طيفاً واسعاً من الذين استوعبوا هموم الرسالة، وقدموا للامة صورة ناصعة عن الاسلام، وبذلك تمكنوا من تثبيت اركان الوعي وتمهيد الطريق للجيل القادم، من اجل مواصلة درب الاصلاح والتجديد الذي رعاه رجال الامة وقادتها من السيد جمال الدين الى الامام الخميني العظيم. وسيعلم الجميع ان طريق الاصلاح وان كان محفوفاً بالمخاطر واكبرها ان يتهم المرء بدينه وعقيدته وربما بشرفه الا ان ذلك لا يمنع الهمم العالية من مواصلة الطريق لاسيما وفينا من يرفع صوته بشجاعة ـ كالامام الخامنئي ـ : «انني اعلن استعدادي لدعم كل حركة في مضمار الاصلاح».

ماجد الغرباوي
٥ / رجب / ١٤١٩
٢٦ / ١٠ / ١٩٩٨

---

(١) راجع الفصل الثاني من الكتاب ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

# الفصل الاول

## الحياة الفكرية في النجف

لا يتأتى للباحث، مهما اوتي من استيعاب ومقدرة في البحث، أن يفصل الشخص الذي يريد ان يترجم له عن المحيط الذي نشأ فيه،أو يعزله عن الوسط الذي عاشه. فان للمحيط، أيّ محيط كان، أثراً كبيراً في نشأة الفرد من الناحية العقلية والعاطفية معا.

وقد تبدو الشخصية للباحث ظاهرة غريبة، لا تحتمل أيّ تفسير واضح، فاذا وضعها في موضعها الطبيعي من الوسط الاجتماعي الذي نشأت فيه زالت عنها هذه الغرابة التي كانت تبدو للباحث أول الامر.

ولذلك فان الدراسات التاريخية الحديثة تعتمد في تفسير الاحداث التاريخية ونشوء الشخصيات علىٰ دراسة المحيط الاجتماعي والجغرافي والملابسات التي تحف بهذا المحيط وتكتنفه.

ومن هنا أكدت البحوث الاجتماعية والنفسية علىٰ ضرورة هذه الملاحظة في حقول الدراسات التاريخية حتىٰ اضحت كل دراسة من هذا النوع تهمل هذا الجانب من البحث فاقدة لطابعها العلمي المتين.

وقد افادت الابحاث التاريخية الحديثة كثيرا من هذا النهج في كشف الحلقات المفقودة من التاريخ وربط الاحداث التاريخية بعضها ببعض حتى اصبح التاريخ الحديث يعني بربط حلقات الاحداث وملء الفراغات منها بما توحي به الملابسات المحيطية، بعد ان كان يعني بعرض هذه الاحداث بصورة مفككة، يغلب عليها الطابع التجزيئي والانحلالي.

وفي ضوء هذه النظرية نحاول ان ندرس نشأة فقيدنا الشيخ محمد رضا المظفر العلمية والاصلاحية، فقد نشأ الشيخ المظفر في الجامعة النجفية، وتأثر بهذه البيئة تأثرا بالغا بما يحفها من ملابسات، وبما فيها من انطلاقة وما فيها من حدود. فقد كان لهذه البيئة تأثير كبير في تكوين شخصيته العلمية ونشأته الفكرية، وبذلك تجدنا ونحن نحاول ان نلم المامة سريعة بنشأة شيخنا المظفر الفكرية، والاصلاحية، نضطر ان نبحث عن البيئة النجفية، ونتحدث بشيء من التفصيل عن هذا المحيط الذي ظل محافظا على طابعه ومكانته العلمية والدينية منذ قرابه الف عام.

## مدرسة النجف الاشرف

تعتبر النجف منذ عهد طويل يناهز الالف عام معهدا للدراسات الاسلامية العالية في حقول الفقه والاصول والتفسير والفلسفة الاسلامية وما يتصل بذلك من شؤون العقيدة والفكر الاسلامي. وقد هاجر اليها شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ٤٤٨ هجرية على اثر محنة معروفة امتحن اللّه بها هذا الشيخ العظيم.

وتحمل الشيخ هذه المحنة وامثالها برحابة صدر وسعة صبر ايمانا منه بان القيام بمثل هذه الرسالة لا يتم من غير هذه التضحيات الجسام.

فلم تفت هذه المحنة في عضد شيخنا الطوسي ولم ينسحب من ميدان العمل بعد ان تطاول عليه السن وظهرت الشيخوخة على قسمات وجهه الكريم.

واستقر رأيه على ان ينتقل من بغداد الى النجف مرقد الامام علي (ع) ليجدد من نشاطه الاسلامي والتثقيفي، بعيدا عن الفوغائية التي كادت ان

تقضي على ذلك البناء الشامخ الذي اقامه شيخ الطائفة في بـغداد الحـاضرة الاسلامية الكبرى في ذلك العهد.

ولم ينتقل الشيخ الطوسي الى مدينة الامام علي حتى التفت حوله هـالة مباركة من طلبة العلم والعلماء المخلصين فوضع بـيديه الكـريمتين الحـجر الاساس لهذا البناء الشامخ في هذه المدينة المقدسة.

واخذ يؤم النجف من حينه عدد كبير من رواد العلم والفضيلة يقطعون اليها المسافات الشاقة الطويلة لينهلوا من نـميره العـذب وليـتزودوا بـزاد العـلم والمعرفة، ثم يعودوا فينتشروا في اطراف البلاد الاسلامية لينشروا هذه الافكار والمعارف التي تزودوا بها ووعوها.

ولذلك انتشرت حلقات الدرس والبحث منذ ذلك الحين في هذه المدينة الكريمة وتفرغ العلماء والباحثون للبحث والتحقيق في شؤون الفكر الاسلامي وتظافرت جهود مباركة في هذا المجال وتشعبت الدراسة الى مختلف حقول المعرفة مما صح معه ان تطلق على هذه المدرسة اسم «الجامعة النجفية».

ومما يذكر ان الدراسة في النجف لا تقتصر على المستوى الابتدائي، الذي يهم الطالب في الدور الاول من حياته الدراسية.

ولا يكتفي الطالب النجفي عادةً بما يلقى عليه في هـذا الدور ولا الدور المتوسط من حياته الدراسية، من غير ان ينتهي الى الدور العالي من المعرفة، حيث يتاح له ان يبحث الموضوع من جديد، وينقد الفكرة التي تلقى اليه، أو التي يلقيها على طلابه، في جو مشبع بالحرية الفكرية.

وما أيسر ان يجد الانسان في هذه الحلقات المتواضعة التـي تـعقد فـي الجامع الهندي أو جامع الشيخ الانصاري هذا الاستاذ الذي يـتعرض بـوقار وتوأدة لرأي للعلامة الحلي مثلا فـي الفـقه أو لرأي للشـيخ الانـصاري فـي

الاصول، ويناقشه مناقشة موضوعية هادئة.. وذلك الاستاذ الذي يتعرض لرأي الجرجاني في مسألة بيانية، وينتقده بعنف أو برفق، ثم يعرض لطلابه رأيه الخاص في المسألة.

وما أكثر ما نجد الطلاب يتعرضون لشيوخهم فيما يبدو لهم من رأي عرضا رفيقا أو عنيفا، وما اكثر ما يخرج هذا النقاش عن شكله الهادئ الذي ابتدأ به الى نقاش عنيف حاد حتى يتفقوا اخيراً على وجه من الرأي أو يلتجأ احدهم الى ان ينزل عند رأي الآخر.

وبجانب هذا العمق من البحث يتوسع الطالب النجفي في الدراسة قبل ان يدخل دور التخصص من حياته الدراسية.

واهم الفروع التي يعتاد الطالب النجفي ان يلمّ بها المامة قصيرة أو طويلة هو الفقه واصوله والتفسير واصوله والحديث واصوله من الشريعة، والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة من الادب، والرياضيات، والمنطق والفلسفة والكلام من العلوم العقلية، ومبادئ من علم الطبيعة والفلك، وما الى ذلك.

## مراحل الدراسة في مدرسة النجف

تتم الدراسة في النجف، على ثلاث مراحل:

١ ـ دراسة المقدمات وتقوم مقام (الدور الابتدائي).

٢ ـ دراسة السطوح وتقوم مقام الدور المتوسط (الاعدادي).

٣ ـ دراسة الخارج وتقوم مقام الدراسات العالية.

و يقتصر الطالب في الدور الاول على دراسة الادب والمنطق. فيدرس من الادب النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض وبعض النصوص الادبية.

ومن المنطق يتعاطى (الشمسية) وبعض شروح التهذيب وعلم (المنطق) لشيخنا المترحم له الشيخ محمد رضا المظفر.

ويمتاز الطالب النجفي باهتمامه البالغ بآداب اللغة العربية في هذا الدور من حياته الدراسية.

ففي النحو يدرس مثلا (مغني اللبيب) لابن هشام وشرح الشيخ الرضي على الكافية، وهو من أهم الموسوعات النحوية.

وفي البلاغة يدرس مثلا (المطول) للتفتازاني وهو من اوسع الكتب البلاغية المعروفة. واذا علمنا ان اللغة العربية لم تلق من الاعراض والاهمال في تاريخها الطويل ما لاقته في القرون المتأخرة، قبل عصر النهضة، عرفنا بعض ما اسدته مدرسة النجف الاشرف الى لغة القرآن الكريم.

و(في الدور الثاني) يتفرغ الطالب لدراسة الكتب الفقهية والاصولية والفلسفية. واسلوب الدراسة المتعارف في هذا الدور هو ان يتفق الشيخ والطلاب على كتاب خاص، مما يتعاطاه الطلاب عادة في هذا الدور من حياتهم الدراسية. فيقرأ الشيخ مقطعاً من الكتاب ثم يشرح الموضوع بما يزيل عنه الغموض والابهام، ثم يستعرض بعض النقود التي ترد عليه، والتي تضج بها حواشي الكتاب في الغالب، ويحدد موقفه من جميع ذلك، ويستمع بعد ذلك لما يثيره الطلاب من تعليقات، فيصحح آراءهم، اذا كانت بحاجة الى التصحيح، أو يتنازل عند رأيهم، اذا كانت جديرة بذلك.

وفي هذا الدور يقرأ الطالب من الفقه الاستدلالي عادة شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني والمكاسب للشيخ الانصاري. ويقرأ من الاصول كتاب (معالم الدين). والقوانين المحكمة، (سابقاً) ثم شاعت أخيراً دراسة

(اصول الفقه) لفقيدنا الشيخ محمد رضا المظفر عوضا عن هذا الكتاب. وبعد ذلك يأخذ الطالب بدراسة (الرسائل) للشيخ الانصاري، وهو يشتمل على مباحث القطع والظن والاصول العملية والتعادل والتراجيح. ويعتبر كتاب الرسائل مثالاً رائعاً لما توصل اليه الفكر النجفي في دراساته لاصول الفقه، وتجربة ناجحة في تجديد مناهج البحث الاصولي وفتحاً علمياً في هذا المجال من الفكر الاسلامي.

وقد لا يجد الباحث الفقيه مثل هذا التطور في المنهج والتجديد في الصياغة بمجال الدراسات الاصولية في غير المدرسة النجفية. ونحن نود ان تلاحظ هذه التجربة الفكرية الضخمة التي تمخضت عنها مدرسة النجف الاصولية من قبل فقهاء المسلمين من المدارس الاخرى وفقهاء القانون على اختلاف مدارسهم القانونية بعين الاعتبار، ليتاح لنا ان نسهم جميعا في تجديد مناهج البحث الاصولي. ونحيل الباحث الفقيه الى استعراض هذا الكتاب استعراضا عاما ليلمس فيه الخطوط البارزة لتطور البحث الاصولي وتجديد مبانيه في المدرسة النجفية، كما المحنا اليه.

ومما ينبغي ان نشير اليه هنا ان المدرسة النجفية لم تقف بعد ذلك عن التطور في هذا الحقل من حقول الفكر الاسلامي ولم يقف الباحثون بعد الشيخ الانصاري عن محاولات تجديدية في هذا الباب.

ويقرأ الطالب بعد ذلك (كفاية الاصول) للمحقق الخراساني، وهو كتاب يجمع بين سعة البحث وعمق النظرة وايجاز التعبير، ويعتبر اليوم مدار البحث والتعليق والنظر في المدرسة النجفية المعاصرة.

وينتقل الطالب بعد ذلك الى الدور الاخير من حياته الدراسية بعد ان وقف على هذه الآفاق الرحبة من الفكر الاسلامي.

وفي هذا الدور ينتقل الى الدراسة الخارجية. وفيه تقع مهمة التحضير والاعداد على الطالب نفسه، من غير ان يتقيد بمصدر علمي خاص، فيقوم الطالب بنفسه قبل ان يحضر المحاضرة باعداد مادة المحاضرة من فقه أو اصول أو تفسير، ثم مراجعة اقوال العلماء في هذه المادة وما يمكن ان يصلح دليلا لها وما يمكن ان يناقش به هذا الدليل، ثم يحاول الطالب ان يستخلص لنفسه رأيا خاصا في هذه المسألة.

فاذا فرغ من هذا الاعداد حضر البحث الخارجي ليستمع الى توجيهات الاستاذ في دراسة المادة المتفق عليها، والبحث عن اطرافها وعما يتصل بها، ما يمكن ان يصلح دليلا لها، وما يناقش به، رأي الاستاذ في نهاية المطاف.

ويختلف الاستاذ كثيرا عن طلابه في صياغة الدليل واعداد البحث ومناقشة الآراء، والرأي الذي يتبناه في المسألة.

فيتعرض الطالب لمناقشة الاستاذ فيما يختلفان فيه من وجوه الرأي والبحث، بعد ان كوّن لنفسه رأياً في المسألة. وقد يتفق ان يشتد الخلاف بين الشيخ وطلابه في حلقة البحث، فيتبلور لدى الشيخ الوجه الآخر من الرأي فينزل عند آراء الطلاب ولا يفقد هذا اللون من المناقشة الاستاذ وقاره الخاص. وقد اعتاد الاساتذة في المدرسة النجفية على ان يجمعوا بين وقار الشيخوخة وانصاف الحق، حيثما كان.

ومن ذلك يظهر ان الدراسة الخارجية في النجف الاشرف نحو من الاشراف والتوجيه في البحث، يقوم به اساتذة متضلعون في البحث، مارسوا التدريس والبحث والنظر كثيرا، وعرفوا باصابة الفكرة وعمق النظرة، ودقة الالتفاتة، وسعة الاحاطة.

وتتسع حلقات الدرس الخارجي تبعا لشهرة الاستاذ العلمية ومدى

نجاحه في البيان وطريقة العرض، ويتفق ان يحضر حلقة من هذه الحلقات اكثر من الف طالب. وقد كان يحضر درس المحقق الخراساني مؤلف (كفاية الاصول)، كما ينقل اكثر من ثلاثمئة مجتهد واكثر من الفي طالب بين مراهق ومجتهد.

ويستمر الطالب على هذا النمط الخاص من الدراسة في الفقه والاصول والتفسير حتى يبلغ مرحلة الاجتهاد في الوقت الذي يقوم به ايضا بادارة حلقات دراسية خاصة من (الدور الاعدادي).

وعندما يبلغ الطالب مرحلة الاجتهاد، ويطمئن الاستاذ اليه في البحث والاستنباط وصياغة الدليل والجمع بين الاحاديث ووجوه الرأي ومناقشة الاقوال.. يشهد له (بالاجتهاد) فيستقل الطالب، بعد ان قطع هذه المرحلة الطويلة التي تستغرق اكثر من ربع قرن.. بالاجتهاد وابداء الرأي والتوجيه.

وخلال هذه الادوار الثلاثة يتعاطى الطالب اطرافا من الثقافات الاخرى، التي لا تتصل برسالته في الصميم، كما لا تكون غريبة كذلك عن حقول اختصاصه كالرياضيات والهندسة والجبر والفلك والنجوم والعروض واللغة الاجنبية.

والملاحظ ان الدراسة في هذه الحقول، وان كانت خارجة عن صميم الدراسة النجفية ورسالة الطالب النجفي، ودون المستوى النهائي، إلّا انها لا تفقد العمق والدقة المتعارفة في الدراسات النجفية.

## شخصية الطالب النجفي

وللطالب النجفي شخصية فذة تميزه عن اقرانه في سائر المدارس والمراكز العلمية، وتمتد سمات هذه الشخصية في حياته الفكرية والمادية وتطبع آثاره

واعماله في مجالات الحياة المختلفة داخل النجف وخارجها بطابعها الخاص.

ولا يسع الباحث عن الجامعة النجفية، وشخصية الطالب النجفي، وموقع النجف من المدارس الاسلامية العالية، وموقعها من قلوب المؤمنين الذين يتوجهون بآمالهم وامانيهم اليها.. من غير ان يبحث عن هذه السمات والخصائص، التي تكون شخصية الطالب النجفى، وتميزه عن اقرانه في المدارس العالية في العالم. ويمكننا، ونحن بصدد البحث عن شخصية الطالب النجفي ان نعرض بعض ملامح هذه الشخصية والعوامل الفكرية والمادية التي كونتها وهي:

### ١ ـ الاستقلالية:

لم يتعود الطالب النجفي ان ينطوي في اطار سياسي، مهما كان شكل هذا الاطار، ومهما كانت الظروف السياسية، ولم يعهد التاريخ الاسلامي منذ الف سنة ان يذوب الكيان النجفي في كيان سياسي لا اسلامي، مهما كان نوع هذا الكيان، ومهما كانت الملابسات الاجتماعية.

وظلت مدرسة النجف الاسلامية تحتفظ بشخصيتها الاسلامية الفذة في خضم الاحداث السياسية التي مرت على الوطن الاسلامي، وفيما تجدد في البلدان الاسلامية من تيارات سياسية وعقائدية.

ولعلنا نلمس في رسالة النجف الاشرف تفسيرا لاستقلال الشخصية النجفية. فالجامعة النجفية ترى أن التشريع الوحيد الذي ينبغي ان تقوم عليه الحياة في كل مجالاتها هو التشريع الاسلامي في الوقت الذي ترى ان السياسات القائمة خليط من تشريع اسلامي وغيره، أو من غيره خالصا، فالخضوع اليها والاخذ بمتطلباتها فيه شيء من البعد عن الاخذ بالاسلام

كدين الهي، وهذه المركزية الاجتماعية والفكرية الحساسة تقتضي مثل هذه الاستقلالية في شخصية الطالب النجفي والمدرسة النجفية. ولم يكن ليتأتى للنجف الاشرف ان تحتفظ بشخصيتها الرسالية، وتؤدي واجبها الديني الا بهذا النحو من المحافظة والاستقلال.

وقد يبدو للبعض، في ضوء ما تقدم، ان الجامعة النجفية محافظة في سيرها وافكارها ولكن الباحث المنصف لا يشك في ان الوضع الفكري الاجتماعي في النجف اقرب الى (الاستقلالية) منه الى (المحافظة).

ولهذه الظاهرة سمات بارزة في حياة (الجامعة) الاجتماعية والفكرية. فالزعامة الاسلامية في الفتيا والتدريس والادارة في النجف الاشرف لا ترتبط بأي جهة سياسية، مهما كان شكلها. وامكانيات الفقيه الشخصية من فكرية وقيادية هي التي تخوله تسنم هذه المكانة الرفيعة من الحوزة والوطن الاسلامي. ولعل في اشتراط (العدالة) و(الاعلمية) في مرجع التقليد والفتوى ما يسلط بعض الاضواء على هذه المسألة.

ومما يؤكد ما ذكرنا من استقلالية الجامعة النجفية عدم أتصالها في الجانب المادي من حياتها بأية جهة رسمية أو مورد سياسي.

وتتم ادارة (الحوزة) المالية عن طريق التبرعات والفرائض المالية التي يدفعها المؤمنون الى العلماء من مختلف الاقطار الاسلامية والبلاد التي تمون النجف بالمال الكافي هي ايران والعراق والهند وافغانستان وبلدان الخليج وافريقيا الشرقية وبرما وسوريا ولبنان واقطار اسلامية اخرى.

وقد كان يبلغ وارد السيد ابو الحسن الاصفهاني في بعض السنوات ستمئة الف دينار[1] وهو مبلغ ضخم اذا قيس الى تكاليف المعيشة في ذلك الوقت.

---

(١) الامام السيد ابو الحسن ص ٦٠.

وكان الملك عبد الله، ملك الاردن في وقته، يقول ان وارد السيد المذكور يزيد على وارد بعض الدول[1].

وكان صالح جبر، السياسي العراقي، ايام الحكم الملكي يرى ان يربط النجف بمديرية الاوقاف العراقية لتكون كسائر المدارس والمراكز الاسلامية في العراق، فلم يقتنع السيد ابو الحسن الاصفهاني برأيه، وبقي يصر على ضرورة استقلال النجف في الجانب المادي من حياتها.

ومما ينبغي ان نشير اليه في هذا المجال، ان هذه الظاهرة ظاهرة الاستقلال في الزعامة والمال، تشمل جميع المراكز الاسلامية الشيعية، كالجامعة العلمية الكبرى في قم والجامعة العلمية في خراسان واصفهان وكربلاء والهند وافغانستان، ولا تخص النجف الاشرف.

ومما يؤخذ على الازهر الشريف وغيرها من الجامعات الاسلامية، انها ترتبط بالجهات السياسية في الزعامة والمال. وهذا الارتباط بطبيعة ما ينجم عنه من نتائج غير مرضية، ولو احيانا يفقد المركز الديني استقلاله الفكري وموقعه من نفوس الناس.

ولا ننكر ان الوارد المالي الضخم الذي يرد الدولة عن طريق الاوقاف العامة هو حق طبيعي للمراكز الدينية، اذا كانت المراكز الدينية هي التي تباشر مهمة الجباية والصرف، اما اذا وضعت الدولة يدها على هذه الموارد وخرج الامر عن حوزة المراكز الدينية، فليس مما يلائم موقع الحوزة ان ترتبط بها بنحو من الانحاء.

### ٢ ـ التعميق والنظر:

والطالب النجفي لا يؤمن بمبدأ الدرس للامتحان، ويعتقد بأن الدرس ينبغي ان

---

(١) المصدر نفسه.

يكون للدرس فقط، ولما يتوخاه الطالب من رسالة فيما وراء الحياة الدراسية.

وطبيعة الامتحانات تتطلب من الطالب الاهتمام بتحضير المادة الدراسية التى تلقى عليه، اكثر من الاهتمام بالنظر في المادة الدراسية التي يتعاطاها الطالب، والتعمّق في صياغة البحث من الخارج، وتحليل المحتوى من رأي أو فكرة من الداخل.

ومهما قيل في ضرورة الامتحان فمما لا نشك فيه أن الامتحان يعوّد الطالب على الحفظ والاعداد، اكثر مما يعوده على التفكير والتعمّق، وان الدراسة الحرة تدرب الطالب على التفكير المعمق والنظر فيما يلقى عليه من مادة اكثر مما يدربه على الحفظ، وبهذا الشكل تتغلغل هذه الظاهرة الفكرية في حياة الطالب النجفي الدراسية، ويتعود النظر والتفكير فيما يلقى عليه من مادة منذ نشأته الدراسية الاولى.

وعندما يفتح الطالب عينيه لاول مرة على كتاب الامثلة وهو رسالة صغيرة في الاشتقاق يبتدئ به الطالب النجفي حياته الدراسية ـ يواجه هذه الجملة: اعلم رعاك اللّه. فيدعو الاستاذ الطالب ان يسأل نفسه لماذا ابتدأ المصنف الكتاب بقوله: اعلم دون ان يقول: اقرأ، فيجيب الاستاذ عنه، بعد ان يعجز الطالب عن الاجابة، طبعا، بأن الغرض من الدراسة ليس هو القراءة والحفظ، بل النظر والفهم.

وهكذا يتدرج الطالب الناشئ منذ اولى خطواته فى هذه الحياة الجديدة على النظر والتفكير والمناقشة والنقد الذي قد يبلغ حدود العنف، ويخرج عن حد الرفق واللين.

ويكفي ان يحضر الباحث حلقة من حلقات التدريس فى النجف وما يثار فيها من نقد ونقاش، أو يقرأ كتابا من الكتب الدراسية وما يحتويه من

التعليقات والنقود والمناقشات والتأملات وما يتضمنه من الايرادات التي يسبق المؤلف القارئ في الاشارة اليها بطريقة (الفناقيل)[1] فى متن الكتاب، والتأملات التي يدعو المؤلف الطالب اليها بقوله: (فتدبر) أو (فتأمل) والتهويلات التي يوزعها بين ذلك كله كقوله: (فتأمل فأنه من مزال الاقدام) وما شاكل ذلك من الظواهر التي تدل على توفر العمق والدقة والنظر في الدراسة النجفية. فيكفي ان يتأمل الباحث في شيء من هذه الظواهر التي تشيع في جو الدراسة النجفية ليلمس مدى التعمّق والدقة في الدراسة بهذه الجامعة.

وبما ان هذا الجانب من حياة الطالب الفكرية بعيد الاثر في تكوين الشخصية النجفية.. نحاول ان نلتمس مع القارئ الجذور الاولى لهذه الظاهرة فى حياة الطالب النجفي، والظلال التي تلقيه على شخصية هذا الطالب في مجال الدراسة والعمل، داخل النجف وخارجها. ولا يتسع صدر البحث، كما لا يتسع صدر القارئ الكريم، فيما أظن للتعرف على جميع هذه العوامل والاسباب التي تدخل في تكوين الشخصية النجفية ولذلك فسوف نحاول في هذا الحديث أن نقتصر على دراسة العوامل البارزة لهذه الظاهرة واحداً بعد آخر.

وفيما يبدو لي تندرج هذه العوامل في الظواهر التالية:

### أ ـ رسالة الطالب النجفي:

والرسالة التي يحملها الطالب النجفي تحدد بطبيعة الامر شكل الدراسة. ولو كان هناك من الطلاب خارج المدرسة النجفية من يتوخى الوظيفة من وراء الدراسة، فأن الطالب النجفي لا يتوخى من وراء الدراسة أية وظيفة اجتماعية

---

(١) مأخوذه من قولهم: فان قلت. قلت.

خارج حدود رسالته الدينية. والطالب الذي يجعل الوظيفة (أمام عينيه) منذ أول خطواته الدراسية لا يكاد يهمه بالطبع من الدراسة غير الحصول على هذه القصاصة المبتذلة من الورق التي تدفعه اليه الحكومة، والتي تتيح له مورداً مالياً طيبا، ويحاول أن يبلغ هذه الغاية من أقصر طريق.

ولا يكاد يهم الطالب النجفي لطبيعة الرسالة التي يحملها،شيء من ذلك، ولذلك فهو لا يحاول أن يقطع الطريق كيفما اتفق وكيفما يتاح له الحصول على هذه القصاصة، بل التفكير العلمي والنظرة المعمقة هما رائدا الطالب النجفي في هذا الدور من حياته، وأداته الوحيدة في قطع هذه المسافة.

### ب ـ طبيعة الدراسات النجفية:

وطبيعة الدراسات العالية في النجف كالفقه والاصول والتفسير والفلسفة تتقبل مثل هذه الدقة والتعمق في البحث، والنتائج التي يصل اليها الباحث في هذه الحقول من المعرفة لا تتنافى مع التشكيك والتطوير.

وعلى النقيض من نتائج الدراسات الرياضية والطبيعية التي لا تقبل النقاش والجدال ولا تتحمل التشكيك لثبوتها نجد ان الدراسات الفقهية والاصولية والفلسفية تتقبل مثل هذا التشكيك والنقد وتتوسع مع الدراسات والابحاث. ولنضرب على ذلك أمثلة عن الفلسفة والاصول:

كانت المدرسة النجفية قبل هذا الوقت تتبنى فكرة اصالة الماهية، وبعد ذلك تبنت فكرة أصالة الوجود، وكانت لا تميز بين الامارات والاصول، فأصبحت تفرق بينها بعد ذلك، وكانت نظرية انسداد باب العلم تجد مجالها في البحث كمسألة ذات واقع ثم انحسرت بعد ذلك حيث اصبح الباحثون جميعاً يؤمنون بانفتاح باب العلم، وكذلك تعرض المسألة الواحدة لعدة نتائج مختلفة

في فترة زمنية قصيرة.

وما أيسر أن يجد الباحث في اصول الفقه رأياً للشيخ الانصاري وتـعقيباً عليه للمحقق العـراقـي أو النـائيني ومـلاحظةً عـلى التـعليق لبـاحث مـن المعاصرين ورأياً في الملاحظة لآخر منهم.

وهذا الاحتكاك الذهني الذي يشبه التضارب الفكري بين الباحثين يؤدي الى تعميق المباحث الفقهية والاصولية وتطوير المفاهيم العلمية وتجديد النظر في صياغة اطار البحث.

## ج ـ حرية الاجتهاد والنظر:

وحرية الاجتهاد هي الاخرى من العوامل البارزة التي تدخل في تكوين الشخصية النجفية المعمقة. فلا يكاد يقنع الفقيه النجفي بطبيعة موقفه الايجابي من الاجتهاد بآراء الفقهاء المتقدمين دون أن يحاول أن يجدد النظر في محتواه الداخلي من حيث الفكرة وفي اطاره الخارجي من حيث الصياغة، ودون أن يحاول اعادة التجربة التى عاناها السابقون عليه من الفقهاء، لعله يتوفق الى رأي أو نظرة جديدة، فيكون قد أدى ما عليه وفرغ من عهدة التكليف ببذل كل ما في طاقته من وسع.

ولا يتأتى للفقه الاسلامي أن يواكب حاجات الانسان في مختلف ظروفه الفردية والاجتماعية اذا اغفلنا عنصر التطوير في هذا التشريع[1].

والجمود في الاجتهاد على وضعية اجتماعية خاصة يفقد الفقه الاسلامي أكبر ميزاته التشريعية. والاجتهاد في المذهب لا يختلف عن الاقتصار على

---

(١) راجع: المدخل الى دراسة التشريع الاسلامي، محمد مهدي الآصفي.

النصوص الفقهية في شيء. وما لم يطلق الفقه من قيد حصر الاجتهاد في مذهب خاص لا يتأتى للفقه الاسلامي أن يساهم ككائن حي في تسيير الحياة الاجتماعية وتطوير الاوضاع الاجتماعية ومواكبة الحاجات البشرية المتطورة.

والفقيه الامامي أينما كان في النجف الاشرف، وفي جامعة قم المقدسة، أو في أي جامعة دينية شيعية اخرى... يضطر بحكم موقفه الايجابي من الاجتهاد أن يتخذ موقفاً ايجابيا من الاحداث الاجتماعية، ويواكب الحاجات البشرية، ويعالج قضايا الساعة، في ضوء نصوص الكتاب والسنة والقواعد التشريعية العامة.

واذا علمنا أن كثيراً من البلدان الاسلامية تتوجه الى النجف الاشرف لتعرض عليها ما يبدو لها من حاجات وما تعانيه من مشاكل وتطلب منها العلاج في ضوء تعاليم الاسلام علمنا حساسية موقع الفقيه من الاحداث الاجتماعية وقضايا اليوم. وكل ذلك يتطلب من الفقيه الامامي أن يتطور مع الاحداث ويبلور عناصر التطوير والتجديد في التشريع الاسلامي، ليعرض النظرية الاسلامية بوضوح في الاتجاهات الفكرية والمادية الجديدة على صعيد النظريات الاخرى، أو على صعيد أسمى من ذلك.

وكل ذلك يعوّد الفقيه على ممارسة النظر والتفكير المستمر، والتعمّق والدقة المتناهية في الاجتهاد والتفكير.

وبهذه المناسبة نقترح على اخواننا من السنة، باخلاص وتواضع، أن ينظروا الى مسألة الاجتهاد نظرة جدية، ويدفعوا التشريع الاسلامي الى مستوى الاحداث وقضايا اليوم.

ونعرض عليهم بهذه المناسبة التجربة الشيعية الضخمة في مجالي الفقه

والاصول، لنتفق معاً على منهج واحد في الاجتهاد في حدود مصادر التشريع الاسلامي الاصيلة.

د ـ طبيعة دراسة الحلقات:

هذا الشكل من الدراسة بطبيعته يستدعي تعمقاً أكثر في البحث، وحرية أكبر في الرأي، ولا سيما في حقل دراسة البحث الخارجي.

والطابع العام لهذه الحلقات هو الحرية الكاملة في الرأي والتعبير. ومن حق الطالب أن يقطع على الاستاذ المحاضر درسه ويناقشه في آرائه، ولا يجد الاستاذ مهما بلغت شهرته العلمية حرجاً في نفسه أن ينزل عند رأي الطالب اذا كان يجد الحق في جانبه.

وقد يتفاقم الخلاف بين الاستاذ والطلاب وبين الطلاب أنفسهم، ويخرج أمر الدرس عن كف الاستاذ، وتتعالى الاصوات، ويشتد الخلاف بين الطلاب، وينفض المجلس، من غير أن يستطيع الاستاذ أن يسترجع زمام المجلس.

واذا علمنا أن من الطلاب الذين يحضرون حلقات الدرس الخارجي في كثير من الاحيان مجتهدين كباراً، يشار اليهم بالفضيلة، في كثير من الاحوال عرفنا مدى تأثير دراسة الحلقات بهذا الشكل من حرية التفكير في بلورة الفكر الاسلامي، وتعميق الدراسات الاسلامية في مدرسة النجف الاشرف،وقد كان يحضر بحث المحقق الخراساني ما يزيد على ثلاثمئة مجتهد، كما أسلفنا.

وما ظنك بدرس يجمع هذا العدد الضخم من المجتهدين والباحثين وبما يثار في هذا المجلس من نقاش، وبما يرتفع من كلام، حتى كان الطالب يضطر أن يقوم في بعض الاحيان على رجليه، حينما يلاقي اعراضاً من الاستاذ

الشيخ في الاصغاء اليه، ليقهر الاستاذ على الالتفات اليه، كما ينقل عن بعضهم.

وفي مثل هذا الجو العامر بالبحث والتحقيق والتعميق ينشأ الطالب النجفي وتتبلور لديه مسائل الفكر الاسلامي.

ومهما حاول الباحث فلا يكاد يلقى جواً دراسياً عامراً بالحرية الفكرية كالاجواء الدراسية التي يعيشها الطالب النجفي، ومهما حاول الباحث فلا يكاد يجد قاعة للدراسة يلتقي فيه مثل هذا العدد الضخم من الباحثين والشيوخ ليبحثوا فيما بينهم شؤون الفكر باشراف من الرئيس المعترف بفضله.

### هـ ـ الاجواء النجفية:

للاجواء الفكرية والاجتماعية التي يعيشها الطالب الديني في النجف تأثير كبير في تكوينه العلمي والفكري. ويتبين الباحث من خلال هذه الاجواء السمات البارزة لشخص الطالب النجفي.

وللاجواء النجفية طبيعة خاصة، قد لا تتوفر في غير النجف. وهي تركيب اجتماعي معقد، تدخل في تكوينها طبيعة البيئة النجفية وقدسية المرقد العلوي وتأريخ المدرسة الطويل والحياة الفكرية والمرجعية الاسلامية.

وقد كان لهذه الاجواء كما سنلمس ذلك خلال هذا الحديث تأثير كبير في تعميق البحث النجفي وابعاد الضحالة والسطحية عن الدراسات النجفية، ويلمس القارئ الكريم بعض مظاهر هذه الاجواء فيما يأتي:

### اولاً ـ المجالس النجفية:

وتقام هذه المجالس في البيئة النجفية بصورة خاصة، ويصح ان نقول ان شيوع المجالس الاسبوعية بهذا الشكل من مختصات النجف الاشرف.

فهناك في هذه البلدة عشرات المجالس الاسبوعية، وقلما يتفق ان تتعارض هذه المجالس في أوقاتها.

وتكثر هذه المجالس في يومي الخميس والجمعة وليلتهما، حيث تعطل الدراسة في النجف. كما تعقد هذه المجالس في ليالي رمضان المبارك بصورة دائمية، تستمر عاة الى ما بعد منتصف الليل والى أن يحين وقت السحر حيث يتفرق الطلاب لتناول وجبة السحر. وفي أيام ذكرى وفيات المعصومين (ع) حيث تعطل الدراسة في النجف فيعوض الفراغ الدراسي بهذه الندوات.

وتزدحم جوانب هذه المجالس بالعلماء والفضلاء. ويأخذ كل واحد منهم من المجلس مكانه الخاص الذي تخوله له مكانته العلمية، ويستقبل كل واحد منهم بما يليق مكانته العلمية. وفي هذه المجالس تثار المسائل الفكرية من قبل بعض الحاضرين وتشمل عادة مسائل الادب والفقه والاصول والتفسير والحديث والفلسفة. لكن الصبغة العامة لهذه المجالس، هو البحث الفقهي والاصولي.

وبعد لأي وتفكير يتعرض أحد الحضور للاجابة عن السؤال فيرد عليه السائل أو غيره من الحضور فيحدث الخلاف بينهم ويشترك الاخرون فيه ويحتدم النزاع. وفي أكثر الأحوال ينقسم الحضور الى جماعات متعددة، تمثل كل جماعة منها وجهاً من الرأي.

وفي هذا الجو العامر بالتفكير والتعبير والنقاش الحر والاحتكاك الذهني وتضارب الآراء يتبلور الوجه الحق من الرأي وتتعادل الآراء، وتتقارب وجهات الرأي ويصحح بعضها بعضا في جلبة الصراع، ويصفو الجو، ويقتنع الحضور بالرأي الحاسم الذي انتهوا اليه بعد هذه الجولة الفكرية الممتعة.

ولو قدر لهذه الظاهرة من الحياة النجفية ان تدرس دراسة سيكولوجية لاتيح لنا أن نعرف مدى تأثير هذه الاجتماعات البسيطة في تكوين الفكرة النجفية المعمقة وتطوير المفاهيم الفقهية والاصولية في هذه المدرسة.

ويكاد يزيد تأثير هذه الندوات العلمية في تكوين الشخصية النجفية المعمقة على تأثير طبيعة دراسة الحلقات. فالطالب مهما اوتي من الحرية الفكرية، والاستاذ مهما كان مرناً في تلقي النقود من قبل الطلاب لا يكاد يتجاوز في كثير من الاحوال حدود اللياقة ورعاية أدب الدرس. وفي هذه الندوات ترتفع هذه المحافظة ويزول هذا الالتزام. والباحث حينما يلقي وجهاً من الرأي على الحضور، لا يلقي الكلام على عواهنه، من غير أن يفكر بنتيجة هذا الكلام. وفيما يثار حوله من نقد، قد يتجاوز حدود الرفق في كثير من الاحيان. وهذا الشكل من الاحتكاك والتضارب الفكري يبعث على النشاط الذهني المثمر والتعميق في البحث.

وتاريخ هذه الندوات، وما كان يجري فيها من حديث،و ما كان يثار فيها من نقاش تاريخ للنشاط الفكري الاسلامي في النجف. فكان من أهم هذه المجالس في العقد السابق مجلس السيد محمد البغدادي، حيث كان يحضره جماعة من العلماء والفضلاء ومن بينهم الشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ محمد النجم والشيخ محمد تقي البروجردي والسيد عباس الاصفهاني، ومجلس الشيخ محمد رضا آل ياسين وكان يحضره المرحوم الشيخ عباس الرميثي والشيخ مرتضى آل ياسين، والسيد باقر الاحسائي، ومجلس السيد محمد سعيد الحكيم ومجلس السيد محمد أمين الصافي وكان يحضره السيد محمود الحكيم، والشيخ خضر الدجيلي، ومجلس السيد علي شبر وكان يحضره الشيخ كاظم الشيرازي والسيد محمد حسين كيشوان والسيد حسن

البجنوردي.

وقد كانت المسألة الواحدة تجر الى اثارة مسائل اخرى، أو تمتد الى غير هذه الندوة وتصبح حديث الجامعة في كل مكان. وقد كان الخلاف الفكري يمتد الى أكثر من هذا فيخصها الباحثون بأبحاث مستقلة تتلقفها الايدي بشوق وارتياح.

ومما يحكى انه لما قدم السيد الصدر الى النجف أثار في بعض ندواتها المسألة العبائية المعروفة. واختلفت كلمات الحضور حولها وامتد ظلال الخلاف الى الندوات الاخرى، وأصبحت في فترة وجيزة حديث الندوات النجفية وتناولها جمع من المؤلفين برسائل مستقلة وأدرجها آخرون ضمن الابحاث الاصولية.

وقد كان هذا الطابع الفكري ينعكس على سائر المجالس والندوات النجفية، حتى التي كانت تعقد لاغراض العزاء أو الافراح أو الاستقبال أو الزيارة.

وكان الطالب النجفي لا يترك فرصة تمر عليه من غير أن يستغلها في اثارة شيء من المسائل التي كانت تمر عليه في حياته الدراسية والتي كانت تشغل باله أكثر من أي شيء آخر.

**ثانياً ـ المراجعة والبحث:**

من عادة الطالب النجفي أن يراجع ما يلقى عليه من مادة دراسية يومياً مع زملائه في ساعة خاصة ليلقى عليها نظرة ثالثة، بعد ان انهى تحضيره قبل الدرس وتلقى خطوطه الرئيسية من الاستاذ حين الدرس. وفي هذه المرة يتاح للطالب أن يلقى من جديد نظرة على الموضوع ويسلط أضواء جديدة على خطوط البحث ولو كانت هيمنة الاستاذ الفكرية تمنعه في مجلس الدرس

عن الانطلاق الواسع في البحث، وتسد عليه منافذ التشكيك غالباً. فان الطالب يجد من مثل هذه الاجتماعات البحثية الخاصة منطلقاً واسعاً للنقاش والنقد، ولا يجد في زميله الذي يشترك معه في المراجعة مثل هذه الهيمنة الفكـرية. وبهذه الصورة تعتبر هذه الاجتماعات الخـاصة ذات أثـر فـعال فـي تـنمية المواهب البحثية في الطالب النجفي. وقلما يتفق ان يحضر الطـالب النـجفي درساً، من غير ان يراجعه مع زميل له بعد الدرس. وقد يتفق أن يراجع الطالب الدرس مع زملائه أكثر من مرة. وشاع بينهم: (ان الدرس حرف والتكرار ألف).

وتتجاوز هذه الظاهرة الثقافية الطلاب الى العلماء المتفرغين عن الدراسة، فيتفق العلماء فيما بينهم يومياً على عقد اجتماعات خاصة لمراجعة البحوث الفقهية والاصولية والتفسير، بالاضافة الى مشاغلهم الفكـرية الاخـرى مـن تدريس وتأليف وافتاء.

ثالثاً ـ مداولة النظريات على القمة:

لا تقتصر المداولة والنقاش في الحوزة على هذا الصـعيد العـام، وفـيما بين الطلاب أنفسهم أو فيما بـين المـتفرغين، أو بـين الطـلاب وشـيوخهم. فقد يعرض المرجع الدراسي الكبير لطـلابه رأيـاً خـاصا له فـي مسألة مـن مسائل الفقه والاصول، ويتلقاه الطلاب عنه بعد نقاش وخلاف يـطول أكـثر من اسبوع، ويعرض مرجع آخر من مراجع التدريس رأياً آخر لطلابه، يختلف مع النظرية الاولى ويتلقاه عنه طلابه بعد نـقاش وكـلام، وتـتبلور النـظرية في كل من الجانبين على هذا المستوى الرفيع. فيقوم الطـلاب بـدور حـلقة الوصل في هذه المواقـع فـينقلون احـتجاج كـل مـن الجـانبين الى الآخـر مع المحافظة على اسم الطرف الآخر، ويـثار النـقاش فـي الحـوزة حـينئذ

على القمة.

فقد يهون على الاستاذ أن يقنع طلابه باتجاهه الفكري الخاص ويدحض حججهم، ولكن الخلاف عندما يثار على هذا المستوى، بين المراجع أنفسهم، بصورة غير مباشرة، يتخذ شكلاً آخر، ويتطلب كثيراً من الإناة والتفكير والتعميق في البحث.

وقد كان الخلاف في العقد السابق من هذا القرن قائماً على قدم وساق في الابحاث الاصولية بين المراجع الثلاث للتدريس في الحوزة، وهم: الشيخ ضياء الدين العراقي والميرزا محمد حسين النائيني والشيخ محمد حسين الاصفهاني.

وكان هذا الخلاف يتمخض في غالب الاحوال عن نظريات جديدة في الفقه والاصول واتجاهات حديثة في الاجتهاد. ويجد الباحث ظلالاً من هذه الخلافات فيما خلفوه لنا من تراث فكري ضخم في الفقه والاصول، ولا سيما في الأثر الذي خلفه هؤلاء الثلاثة في الاصول من كتاباتهم الخاصة أو تقرير تلامذتهم.

فقد قام كل من السيد الخوئي والشيخ محمد علي الكاظمي رحمهما اللّه بتقرير أبحاث الميرزا محمد حسين النائيني في كتابيهما (اجود التقريرات) و(فوائد الاصول). وخلف الشيخ ضياء الدين العراقي كتاباً ضخماً في الاصول بعنوان (المقالات). وصدر الشيخ محمد تقي البروجردي تقريراً لابحاث الشيخ ضياء الدين العراقي باسم (نهاية الافكار). وحرر الشيخ محمد حسين الاصفهاني آراءه في الاصول بصورة تعليقات على كتاب (كفاية الاصول) للمحقق الخراساني، وكتب الفقيد الشيخ محمد رضا المظفر رحمه اللّه تقريراً عن آرائه في الاصول.

وفي هذا الانتاج الفكري الضخم يلمس الباحث وجوهاً من النشاط والنقاش المثمر والخلاف البناء، الذي كان يجري يومذاك في الحوزة بين اقطاب الدراسة، وعلى القمة من المدرسة النجفية.

### رابعاً ـ مجالس الاستفتاء:

وهذه المجالس تشكل جانباً آخر من الاجواء النجفية، ولم يعهد التاريخ النجفي مثل هذه المجالس، بشكله الحاضر في ما قبل هذا القرن. ويظهر ان الميرزا محمد حسين النائيني رحمه اللّه، كان هو أول من ابتدع هذه المجالس. والغرض من اقامتها هذه المجالس هو الاجابة على الاستفتاءات والاسئلة الشرعية التي ترد النجف، من الاقطار الاسلامية، فيما يتصل بشؤون المسلمين الدينية.

ويحضر المجلس عادة المرجع الديني، وجمع من العلماء والباحثين، وتعرض الاسئلة على الحضور، بمسمع من المرجع الديني، فيثار الخلاف. والمرجع الديني يلحظ كل ذلك من قريب، ويصغي لما يدور في المجلس من حديث، ويستقر رأيه أخيراً، من خلال ما يجري في المجلس من حديث ونقد، ومن خلال تجاربه الفكرية الخاصة... على رأي، فيفتي بذلك، ويحسم الخلاف ليأتي دور سؤال جديد.

ويجري النقاش في هذه الندوات باشراف من المرجع الكبير الذي يحضر الندوة عادةً، ولذلك يجري النقاش على خطوط واضحة وهادفة ومعمقة. والافراد الذين يحضرون هذه المجالس نخبة من فضلاء الحوزة. ولازالت تعقد هذه المجالس والندوات بصورة ليلية، وتعالج فيها أهم قضايا الساعة على صعيد النظرية الاسلامية.

و ـ الاجواء الفكرية العامة:

والنجف الاشرف بجميع أطرافها وجوانبها مدرسة فكرية واسعة، يضج أطرافها بالبحث والدرس والمراجعة والتحضير. وأكثر ما يسع الكاتب من تعبير ان يقول: ان الاجواء النجفية أجواء دراسية بصورة عامة. فلا يتطلع الانسان الى جامع من هذه الجوامع التي تنتشر في أرجاء هذه المدينة، حتى يجد جماعات من الطلاب متكتلين للمراجعة، والحلقات الدراسية منعقدة، والاصوات مرتفعة من هنا وهناك بالنقد والاحتجاج. ولا يرتاد الباحث ندوة من هذه الندوات الكثيرة التي تعقد في جوانب هذه المدينة المقدسة، الا ويجدها زاخرة بحديث العلم وعامرة بشؤون الفكر الاسلامي وصاخبة بالنقاش الحاد والاحتجاج.

ولا يخص حديث العلم والفكر حلقات الدرس واجتماعات المذاكرة أو ندوات الاستفتاء أو المجالس الاسبوعية، بل يعم كل جزء من حياة هذه المدينة، وقلما يتفق ان يجتمع اثنان من ذوي الفضل إلا ويثار بينهم نقاش في شأن من شؤون الفكر.

وقد يأوى بعضهم الى شواطئ الكوفة كل اسبوع مرة ليروحوا عن نفوسهم، وليأخذوا نصيبهم من الراحة، فلا يستقر بهم المجلس هناك، تحت ظلال الاشجار، وعلى ضفاف الفرات حتى يأخذوا في نقاش جديد أو يستمروا في نقاش قديم، وينقلب الحقل الى المدرسة، ويتحول الهزل الى الجد.

وأينما يتوجه الانسان من هذه المدرسة فلا يفقد وجهاً من وجوه النشاط الفكري، فبيوت العلماء ندوات عامة عامرة بحديث العلم والفكر، والجمعيات العلمية منتشرة هنا وهناك. وفي ارجاء هذه المدينة يلتقي الطالب بعشرات المكتبات التي تفتح أبوابها عليه يومياً لتزوده بما يحتاج اليه من كتب

ومصادر فيما يخصه من شؤون الفكر.

وفوق ذلك كله فكل جمعية من جمعيات النجف العلمية تملك مكتبة عامرة بالموسوعات العلمية والكتب النادرة، وكل مدرسة من مدارس النجف تضم بين جدرانها مكتبة حافلة بالكتب التي تهم الطالب في شؤون اختصاصه. والى جنب ذلك كله يلتقي الطالب كل يوم في دور الكتب بكتاب نجفي جديد أو بحث جديد أو رسالة جديدة في شأن من شؤون الفكر الاسلامي. وبين حين وآخر تعرض المطابع على الطالب النجفي سلسلة جديدة من الكتب أو مجلة اسلامية جديدة.

والمطابع في النجف على كثرتها في عمل مستمر ونشاط دائم، وهي تطلب بالحاح من الباحث النجفي توفير المادة اللازمة، واعداد البحوث والرسائل والمقالات للطبع.

اما بعد فهذه صورة مصغرة للاجواء النجفية، وللحياة الفكرية التي يعيشها الطالب في جوانب هذه المدرسة. ولو قدر للباحث أن يجد اطرافا من هذه الاجواء في غير النجف الاشرف من مدارس الفكر، فلا يكاد يلتقي بهذه الاجواء، مجموعة، في غير النجف الاشرف.

ولست بحاجة الى ان اشير الى تأثير مثل هذه الاجواء الفكرية في تكون الفكر النجفي المعمق، بما فيه من سعة وشمول وعمق، وبما فيه من عناصر التطور والاستمرار.

### ٣ ـ الاحتكاك الفكري:

يرتاد النجف الاشرف قوميات مختلفة، ويلتقي في معاهد هذه المدينة ونواديها البعثات العلمية التي تقصد النجف من نقاط بعيدة من الشرق والغرب.

وتحمل كل طائفة الى النجف ذهنيتها القومية أو القطرية الخاصة، وما تحمل هذه الذهنية من تجارب فكرية وعادات وتقاليد، تأصلت في أفكارهم طيلة عصور طويلة. ومن هذه التجارب التي يحملها هؤلاء الى هذه البيئة الجديدة تجارب غنية بالعطاء في التفكير والتعبير والصياغة والادب والدعوة. وتلتقي هذه الذهنيات المختلفة وما تحمل من تجارب فكرية على صعيد الحياة الدراسية في المدرسة النجفية، وتنسجم في حياة فكرية مؤتلفة تجمعها وحدة الهدف ووحدة الدراسة ووحدة البيئة.

والاحتكاك الفكري الذي يحصل بين هذه الذهنيات المختلفة على صعيد الدراسة يفتح آفاقا فكرية واسعة في التفكير والصياغة والتعبير والادب امام الفكر النجفي، ويعود الطالب النجفي على المرونة في التفكير والبحث.

والنتاج الفكري الضخم في هذه المدرسة يتصل بأكثر من تجربة فكرية، ويمثل أكثر من ذهنية واحدة، ويملك من عناصر المرونة والبقاء ما لا يملكه أي نتاج فكري آخر، في كثير من الاحوال.

### ٤ ـ خفة الطبع:

والحياة في النجف على ما يبدو عليها من جدب المادة، يطبعها المرح وخفة الروح. والطالب النجفي ان كان يعوزه المال الذي يدير به الحفلات الساهرة فلا تعوزه الروح الخفيفة التي تهتز لبيت من الشعر رقيق، أو مناسبة شعرية جميلة، أو زهرة زاهية تبتسم للشمس، أو طير يغرد على دوحة فارعة خضراء.

ولا يأنس الطالب النجفي بشيء من متاع الدنيا كما يأنس لهذه الندوات الادبية التي تنعقد في النجف بين حين وآخر، فيجتمع اليها الشعراء،

ليتعاطوا الشعر على أقداح من الشاي الحلو والقهوة العربية المرة أو دعوة (طبيخ ماش) أو (سمك الحَرَش) أو (الباجة) وينشؤا أبياتا رقيقة من الشعر، بمناسبة ساذجة أو بغير مناسبة، ويتحامل بعضهم على بعض، ويسخر منه، في كلام رقيق، وصفاء لا يشعر بحقد، وسذاجة تشبه سذاجة الاطفال. حتى تنحل الندوة وقد قضوا سويعات سعيدة، سمعوا فيها الشعر الجميل، وأنشدوا فيها الرقيق من النظم وتعاطوا هذا الشعر المرتجل الذي يجري على ألسنتهم من غير كلفة، وافرغوا في بطونهم شيئا من هذا المايع والجامد الذي يدار عليهم.

وفي هذه الندوات سلوة للروح، وترويح عن النفس، وغذاء للفكر، وفيها يجد الشعراء مجالا خصبا للمباراة الشعرية، والناشئون مدرسة للتدريب ولتنمية مواهبهم الشعرية.

وانعقاد هذه الاندية، بهذه البساطة المتناهية، والسذاجة، وما يشيع فيها من الصفاء والخفة، من خصائص مدرسة النجف.

واليك نماذج مما يجري في هذه الاندية:

ضمت احدى الاندية النجفية نفراً من فطاحل الادب وجهابذة الشعر وأقطاب هذا الفن في ذلك العصر كالمرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي والمرحوم الشيخ محمد حسن كبه والمرحوم الشيخ جعفر الشرقي وغيرهم.

ولم تدر بينهم أقداح القهوة حتى حمى وطيس المحاورات الادبية فأنشأ السيد الحبوبي مرتجلا في القهوة مخاطبا ساقيها بقوله:

فدع عني السلافة ليس شيء ... أعل لعلتي من شرب قهوة
أدرها واسقنيها لا دهاقاً ... ولكن حسوة من بعد حسوة

فعارضه المرحوم الشيخ محمد حسن كبه مفنداً رأيه ومرتجلا بقوله:

فوا عجباً لمثلك أريحيا يشف لطافة ويروق قهوة
يبيع سلاف ريقتها المصفى بآجن مرة تدعى بقهوة
على ان السلاف وما عداها فمن كرم لتعطى الروح نشوة
وتلك وويل تلك ومن حساها تزيد ملالة وتزيل شهوة
هلم نحكم الخريت فينا فذاك السيف لا تعروه نبوة

وقد قصد بالخريت الشيخ جعفر الشرقي فانتفض الشيخ كالاسد وأبدا حكمه مرتجلا بقوله:

عجبت وانتما ماء وخمر قد استرعيتما در الاخوة
فكيف يبين بينكما خلاف بشرب سلافة راقت وقهوة
عذرتكما عليه وكل صب تميل به لمن يصبيه صبوه
أجل والشرك في المحبوب شرك ابته غيرة حمدت ونخوة
ولكني اذا حكمتماني سعيت لذاك بين صفا ومروه
فان تكن السلافة فهي روح وجدت لروحها فرحا ونشوه
وان تك قهوة بالمسك فاحت فمن يده وان مرة لحلوه
وما ذهب السواد لها بشيء فان الخال زاد الخد حظوه

وهكذا انفض عقد ذلك المجلس والكل مرتاحون بتلك الاريحية والادب السامي[1].

وضم محفل من محافل النجف الاديبين الشهيرين المرحوم الحاج محمد حسن أبو المحاسن والمرحوم اقا رضا الاصفهاني وغيرهم من الادباء، وبعد ان قضوا شطرا من الجلسة في الاحاديث الممتعة والنكات البديعة اخرج

---

(١) الخليلي، الشيخ محمد، اندية النجف، مجلة الدليل، السنة الثانية، ص ١٤٨.

أحدهم ساعته ليعرف الوقت فنظره الحاضرون واستحسنوا شكلها ثم اقترح أحدهم وصفاً ارتجالا.

فقال أبو المحاسن:

مسـمعة تـعجب الحـانها    لكـنها ليست بسـماعة
رقـاصها طـفل لدى مكـتب    يـقرأ فـي الجـزء بـتباعة

وأطرق المرحوم آقا رضا هنيهة ثم رفع رأسه وارتجل:

غـالية غـالية المـنتمى    في الشرق والغرب حوت قبتين
يـا عـجباً مـن طـفل رقـاصها    يـقرأ فـي الجـزء بـتباعتين

ولما سمعهما أبو المحاسن قال له لا فخر فقد سرقت تباعتيك من تباعتي فاسمع قولي:

عجبت للشيخ على فـضله    فـي شـعره يسـرق تـباعة
دقـيقة يسـطو بـها آخـذاً    مني ما قد قلت في سـاعة[1]

وقرئت في ناد من أندية النجف قصيدة المرحوم السـيد سـعيد الحـبوبي الموشحة التي قالها في زفاف أحد أصدقائه فطرب لها الحاضرون حتى اذا بلغ المنشد الى قوله:

قد شربت الخمر لكن كـلماك    ما رأت عـيني ولا ذاق فـمي

فقام أحد المستمعين الى المرحوم السيد وكان حاضر المجلس وقـال له اسألك يا سيدي عن (قد) ماذا تفيد في الكلام؟ فقال له رحمه اللّه (قـد) اذا دخلت على الماضي افادت التحقيق، ولكن لم أشربها وحق جدي. فضحك

---

(١) الخليلي، أندية النجف. مصدر سابق، ص ١٥٠.

الحاضرون واستحسنوا سرعة التفاته الى غرض السائل المداعب[1].

واجتمع ذات يوم في دار الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي كل من الاساتذة جعفر الخليلي والشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي والشيخ محمد الخليلي، وبعد حديث طويل أنشد الشيخ محمد كاظم على سبيل الدعابة، وعلى طريقة الاديب النجفي قائلا:

انی لمشتاق الى باجة    قد طبخت عند الخليلي

وتطاولت الاعناق تستفسر عن المقصود منهما هل هو الاستاذ جعفر أم الاستاذ الطبيب، ولكن سرعان ما اندفع الاستاذ جعفر منشداً ليوجه الانظار الى ابن عمه ويدفعها عن نفسه فقال:

لاسيما عند طبيب لكي    نحظى بأكل منه صحي

فما كان من الشيخ محمد جواد الا أن يقول:

نعم وهذا الرأي مستحسن    وحسنه ليس بمستخفي

وهكذا اذعن الشيخ محمد الخليلي واقيمت الوليمة بعد يومين وحضرها غير هؤلاء العلامة الشيخ محمد رضا المظفر وجماعة من الفضلاء.

وبعد تناول الطعام فوجئ الجمع بقصيدة رائعة في حق (الباجة) وصاحبها وآكلها نظمت والقيت من قبل الشيخ محمد جواد الشيخ راضي والخطاب لصاحب الدعوة.

ناديك للاخوان مقصد    ولصفوة الادباء معهد
قد كان مستشفى فعاد    بفضل أهل الفضل مربد
فاهنأ باخوان الصفا    فهم النجوم وأنت فرقد

---

(١) الخليلي، أندية النجف، مصدر سابق، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

ما شئت قل في فضلهم — واستشهد الحلبات تشهد
لو رمت نظم صفاتك — الغرا ملأت بها مجلد
ان فاض جودك ليس — يمنع فيضه (روف) ولا سد
عودتنا منك الجميل — فعد له والعود أحمد
لو لم يحدده اليميز — بباجة لتجاوز الحد

وينتهي ثناؤه على صاحب الدعوة ويلتفت الى الحاضرين ويجيل نظره فيهم ليختار منهم من يستطيع أن يورطه في دعوة مماثلة، ويقع اختياره على الاستاذ ابي رجاء السيد هادي فياض:

اليوم يومك يامحمد — وأبو رجاء يومه غد
اندى البرية راحة — وأغرهم نسباً ومحتد
في جده وبمجده — شرع المفاخر قد تجدد
المفرد العلم الذي — (بأبي خريزة) قد تفرد

ثم يلتفت واذا بالشيخ محمد رضا المظفر قابع في الزاوية، وكأن الامر لا يعنيه بعد ان انتهى الطعام ودار الدائرة على غير فقال يخاطبه:

اما (الرضا) الحبر المؤيد — فعلى الولائم قد تعود
ما ذاق طعم طعامه — يوماً ولا منه تزود
لم يبق من تلك الرؤوس — لنا سوى العظم المجرد
فكأنما أسنانه — مشحوذة اسنان مبرد
قلب اليمين على الشمال — وحل مئزره وعربد
وأتى على ذاك الثريد — فمثرد من بعد مثرد
فالاذن تصلم باليمين — وبالشمال تجرد اليد
أكل الرؤوس جميعها — فاسلم برأسك يا محمد

وما كان ينتهي من انشاده واذا بالاستاذ جعفر الخليلي يقف منتصباً ويطلب منهم أن يصغوا اليه واذا به يصف حاله وحالهم في أبيات رقيقة نظمها أثناء استماعه لقصيدة الشيخ. قال:

| | |
|---|---|
| قد مشوا تحفهم | المغريات والنهم |
| ينشدون متسعاً | طالما به حلموا |
| كل منزل وله | عنده لمزدحم |
| كل شارع وبه | من مسيرهم قدم |
| كل أكلة ولها | في حياتهم قيم |
| ويك اننا نفر | ليس ذمة لهم |
| شغلنا نسج أكلة وعليها | البعض منا ببعضنا يستعين |
| لا نبالي ان كان من أجل هذا | ذهبت افرش وبيعت صحون |
| يا أبا صادق اجارك ربي | من جماهير همهن البطون |
| حسبك اللّه ان واحدهم | الف، وان شئت واحد مليون |

ويقول الاستاذ جعفر الخليلي:

وفي أوقات فراغنا كنا نبتكر المتع ابتكارا فنقضي مع عدد من الاصدقاء أوقاتا طيبة فنطبخ ـ المقالب ـ ونهيئ المناسبات لنحمل بعض الاصدقاء على دعوتنا في بيته، وأكثر من عرف بين اصدقائنا باجادة نسج الاشراك للصيد كان الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي وكنت أنا. واذكر ان الشيخ محمد حسين المظفر جاءني مرة يطلب مني أن اضع الخطة التي تدعو الميرزا صالح الخليلي وهو من أبناء عمومتي والمقيم في قصبة الكوفة لان يولم لنا وليمة من طيور البط المعروف بالخضيري فقلت له ولم لا تفعل أنت ذلك وان بينك وبين ابن عمي هذا من الصلات ما يضمن لك تحقيق المطلوب بمجرد ان تطلب، قال

صحيح ولكنني فاقد لهذه اللباقة التي تملكها أنت ويملكها الشيخ محمد كاظم.

وتمت الوليمة وكان حضارها بضعة عشر نفرا من الفضلاء والادباء وقد خص كل واحد منهم بطير من ـ الخضيري ـ وما كدنا نفرغ من الطعام حتى فاجأنا الشيخ محمد رضا المظفر بمقطوعة من الشعر المرح الضاحك يرثي بها الميرزا صالح الذي راح ضحية صيادين مهرة اعتادوا ان ينصبوا شباكهم ليصيدوا فقال:

| | |
|---|---|
| أين المفر من ـ العزيمة ـ | يا بعدها خططا حكيمة |
| نصبوا ـ أبا الهادي ـ الشباك | وقد وقعت بها غنيمه |
| صادوك ام صادوا طيو | رك ام جيوبك للوليمه |
| ودعيت لو تدري الى | ما ليس يدفع بالهزيمه |
| فاصبر على مضض فما | للصيد غير الصبر شيمه |
| ان قلت انك قد خدعت | بنا فليس من النميمه |
| فاقنع بأن ندعوك من | ملق أيا زاكي الارومه |
| وعلى غدائك قد جئونا | ـ جيمة ـ من بعد ـ جيمه ـ |
| وعلا ضجيج القوم ينتظرون | من نهم قدومه |
| ولقد جلسنا حول مائدة | الطعام العذب ـ كومه ـ |
| واصطكت الاسنان | نقضم من مفاخره لحومه |
| واذا سمعتم بالهجيمة | هذه معنى ـ الهجيمة ـ |
| عجبي من القرم ـ الخليلي ـ | كيف لم يقطع شكيمة |
| فيفر من وجه العدالة | تاركا فينا رسومه |
| يا ـ صالحا ـ حييت أنت | الى العلى اسمى عزيمه |
| ولك السماحة انجبت | فيها الخؤولة والعمومه |

وعـــــلى نـــــداك دليـــلنا طـــيب الابـــوة والامـــومة
ومـــــن العـــجائب أنـــهم مـــنحو الحـبال وأنت ديـمه
لو أنـــهم رغـــبوا ـ بـثانية ـ وعـــــالوا رب ـ ديــــمه ـ
لاحـــــببت هـــيلا ونـــفس لا تـــــــجيبكم لئـــــيمه

وهمس في اذني الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي قائلا: أرأيت كيف تنصل المظفر كأننا نحن الذين صدنا قريبك الخليلي ولم يكن اخوه السبب؟ قلت وما الذي تريد الان؟

قال ـ ان نعمل بالشيخ محمد رضا المظفر ما قد عملناه مع مـيرزا صـالح الخليلي، فكانت وليمة من أعمر الولائم في بيت آل المظفر.

وكذلك كان الشيخ محمد رضا المظفر يكثر من ارتياد هذه الاندية، أو يحلو له أن يخلق هذه المناسبة التي يهتز لها الشاعر النجفي ويستخفه، يتعاطى فيها الشعر الرقيق الذى يجمع الى الرقة سلامة التعبير وجمال الاداء.

وتحمل النجف الاشرف رسالة ضخمة، تناسب مكانتها الاجتماعية مـن الوطن الاسلامي الكبير، وتختلف مسؤوليتها ازاء ما يجري من الاحداث وما يتجدد من الاحوال وما يطرأ على العالم الاسلامي من اتجاهات عقائدية عن أي مركز آخر. فهي تحتل منذ الف سنة تقريباً هذه الموقعية الحساسة من العالم الاسلامي. وهذه الموقعية تضفي على النجف من القدسية ومن المسؤولية في نفس الوقت ما لا تتوفر لاية جهة اجتماعية اخرى في العالم الاسلامي الشيعي ولا اريد أن انتقص مع ذلك من شأن المراكز الاسلامية الشيعية الاخرى في ايران والهند وأفغانستان والعراق وما لها من تاريخ مشرق في الجهاد والدعوة.

ولا اريد أن أقول ان النجف لم تتوان طيلة هذا الزمن الطويل فـي القـيام برسالتها، كما يليق بمكانتها من الوطن الاسلامي. ولكن النجف مع ذلك كله

ماتزال محتفظة بمركزيتها التوجيهية والعلمية في العالم الاسلامي، ومـاتزال قلوب المؤمنين من أرجاء العالم الاسلامي تحوم حول هذه البقعة المـباركة، التي يرقد فيها التلميذ الاول لمدرسة الاسلام الامام أمير المؤمنين (ع).

ولا يسع الباحث في مثل هذا الاستعراض السريع ان يشرح جوانب هذه الرسالة الضخمة، الا اننا نحاول أن نلمح في هذا الحديث، في حدود حوصلة البحث، الى جوانب من هذه الرسالة ولعل القارئ يلمس من خلال هذا العرض السريع ضخامة الرسالة التي تحملها النجف الاشرف.

## ١ ـ المرجعية في الفتيا والتوجيه:

ولكي نفهم ما يعني من هذه الكلمة يجب أن نلحظ:

اولا: ان طبيعة المرجعية الاسلامية تختلف عن المرجعية فـي أي شـيء آخر، فعندما توضع (المرجعية) في اطار (التشريع الاسلامي) تتسع لكل مـا يعني الانسان من شأن في حياته فيما يـتصل بشـؤونه الفكـرية والمـادية. وتحديد المرجعية الدينية في الاسلام في اطار مسائل الصلاة والطهارة والحج لا مبرر له بالنظر الى سعة مفهوم الدين في الاسلام.

ولا يملك المسلم، ان كان يؤمن بالاسلام عقيدة ونظاماً للحياة ان ينحرف عن التوجيه الاسلامي في شأن من شؤون حياته، مهما كان لونه، ولا يـقف الاسلام موقفاً سلبيا من أية ظاهرة اجتماعية. والمسلم بهذا الحكم لا يملك الا أن يحدد موقفه من الظواهر الاجتماعية التي تحف به بالشكل الذي يـقرره التشريع الاسلامي ولذلك فالمرجعية الدينية في غيبة الامام تعني (الحكومة الاسلامية) بما في هذه الكلمة من شمول وعمق. «وفي أحاديث أهل البـيت

عليهم السلام دلالة واضحة على ذلك.

يقول الامام العسكري (ع) في تعريف شخصية المرجع وموقف العوام من المسلمين ازاء مراجع التقليد «... من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظا لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه».

ويقول الامام الصادق (ع): (انظروا الى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف احكامنا فأرضوا به حكما، فاني قد جعلته عليكم حاكما. فاذا حكم، حكم بحكمنا، ومن لم يقبل منه فانما بحكم اللّه استخف وعلينا رد والراد علينا راد على اللّه. وهو على حد الشرك باللّه».

وثانياً: ان الفقه الاسلامي يملك في محتواه الداخلي من عناصر التطوير ما يجعله صالحاً لمسايرة الاوضاع الاجتماعية في كل عهد. وتحديد الاجتهاد بظروف اجتماعية خاصة، كانت تقتضيه، فيزول عندما تزول تلك الظروف وتحل محلها ظروف اجتماعية اخرى.

ولا يمكن أن يحتفظ الفقه الاسلامي، بما فيه من عناصر الحياة والتطور، ما لم يتفاعل مع الاحداث بصورة مستمرة، يتفتح لما يحدث في المجتمع من حاجة جديدة أو وضع ويحدد لنفسه من كل ذلك موقفاً تشريعياً واضحاً، مستمداً من صلب التشريع ومن مصادره الاصيلة.

وبما ان المدرسة النجفية تتبنى فكرة انفتاح باب الاجتهاد، فهي تضطر أن تواكب التطورات الاجتماعية، وتجدد في الفقه الاسلامي تلبية دائمة لما يتجدد للناس من حاجة فيما يتصل بشؤون الحضارة البشرية. وبملاحظة هذين الجانبين يتجلى لنا ضخامة الرسالة التي تتحملها النجف في المرجعية والفتيا والتوجيه الاجتماعي.

والمؤمنون يتوجهون الى هذه الجامعة الاسلامية، فيما يتوجهون اليه من الجامعات الاسلامية، ليتلقوا التوجيه الديني فيما يهمهم من شؤون الحياة.

والمدرسة النجفية تضطر، بحكم موقعها الديني وبحكم فهمها للمرجعية والتوجيه الديني، ان تتفتح بتوسع للتوجيه الاجتماعي وتلبية الحاجات الانسانية وتتطور مع الاحداث، وتحدد موقف المسلم المعاصر من كل ما يطرأ على المجتمع الاسلامي من شأن.

ولعلنا نلمس ملامح من ذلك فيما يصدر عن النجف من الرسائل العملية والتعليقات والفتاوى. وترد النجف يومياً مئات الاسئلة والاستفتاءات، كما تصدر عنها يومياً بما يضاهي هذه الكمية من الفتاوى والاجوبة.

ولا يشق على الباحث ان يلمس، في دراسة التاريخ المعاصر للوطن الاسلامي، الخيوط الدقيقة التي تربط النشاط السياسي الاسلامي في هذا الوطن بالنجف الاشرف، أينما كان.

## ٢ ـ الدعوة الاسلامية:

وهو وجه آخر من هذه الرسالة الضخمة التي تقوم بها النجف. وللنشاط الدعوتي مظاهر مختلفة في هذه الجامعة الاسلامية. فالخطابة الدينية مظهر من هذه المظاهر. ومن النجف ينطلق التوجيه الخطابي، بصورة واسعة، فينتشر الخطباء من هذه البلدة في شهر رمضان وشهري محرم وصفر ومناسبات اسلامية اخرى ليقوموا بواجبهم الاسلامي من توجيه ودعوة.

وينتشر الخطباء من النجف الى ايران وافغانستان وباكستان والهند وسوريا

ولبنان والكويت والبحرين وسواحل الخليج. وبعض الانحاء من القارة الافريقية ويقومون هنا بأداء رسالتهم الاسلامية على اوسع نطاق، فيخطبون في المسلمين ويجيبون على أسئلة المراجعين منهم ويقومون بتوجيههم وبمعالجة بعض ما يعانون من مشاكل وصعوبات.

والسفارات والبعثات الدينية جزء آخر من رسالة النجف. ففي كل سنة ينحدر عن النجف سيل من البعثات الدينية والارساليات الاسلامية لينتشروا في أرجاء العالم الاسلامي وليقوموا هناك بالدعوة والتوجيه والتثقيف الديني.

والكتابة والنشر بعد ذلك من أهم جوانب هذه الرسالة.وللنجف تأريخ مشرق في هذا الحقل من حقول الدعوة وقد كانت النجف في العقود المتأخرة تعتبر مبعثاً لحركة النشر والتأليف.

وكانت تقف بالمرصاد للمحاولات المادية والمسيحية الاثيمة لتشويه حقائق الاسلام وتسميم أفكار المسلمين.

وكتب (الرحلة المدرسية) و(الهدى الى دين المصطفى) و(أنوار الهدى)، و(التوحيد والتثليث) للامام البلاغي و(الدين والاسلام) و(القول الصحيح فيما هو الانجيل) و(من هو المسيح) و(الآيات البينات) للامام كاشف الغطاء و(نقد دارون) لأقا رضا الاصفهاني نماذج حية من هذا النشاط.

وقد اصيبت حركة النشر والتأليف بفتور في الفترة الاخيرة ولكن النجف عادت فاستطاعت بفضل جهود ابنائها ان تلاحق حركة التأليف والنشر والكتابة في العالم الاسلامي وتسبقها في بعض الاحيان.

وفي كتابات الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن المظفر والشيخ محمد رضا المظفر والسيد عبد الحسين شرف الدين، بأعتباره

من خريجي هذه الجامعة، والشيخ عبد الحسين الاميني والشيخ محمد أمين زين الدين... دلالة واضحة على ذلك.

وفي النجف كانت هناك طليعة مباركة من الكتاب والباحثين الاسلاميين الذين يمتازون بسعة الاطلاع والعمق والوضوح وتمتاز كتاباتهم بروعة العرض وسلامة التعبير وجمال الاداء وجدة الصوغ، نذكر منهم السيد محمد باقر الصدر مؤلف (فلسفتنا) و(اقتصادنا) و(المدرسة الاسلامية)، والسيد محمد تقي الحكيم مؤلف (الاصول العامة للفقه المقارن) و(مالك الاشتر) و(شاعر العقيدة)، والشيخ أسد حيدر مؤلف الموسوعة العلمية الكبيرة (الامام الصادق والمذاهب الاربعة)، والسيد محمد حسين فضل الله مؤلف (قضايانا على ضوء الاسلام) و(اسلوب الدعوة في القرآن)، والشيخ عبد الهادي الفضلي مؤلف (مشكلة الفقر) و(من البعثة الى الدولة) و(في انتظار الامام) و(التربية الدينية)، والشيخ كاظم الحلفي مؤلف (الاسلام نظام وعقيدة) و(الربا في القرآن) و(الخمر في القرآن) و(الاخلاص) وعشرات المؤلفات الاخرى، والسيد محمد بحر العلوم مؤلف (ضحايا العقيدة) وغيره، والشيخ محمد مهدي شمس الدين مؤلف (نظام الحكم والادارة في الاسلام) و(بين الجاهليةوالاسلام) و(دراسات في نهج البلاغة) و(علمانية الدولة)، و(المعتزلة) للشيخ محمود المظفر. والسيد عدنان البكاء مؤلف (الاسرة المسلمة) و(نظرات في السنة) وبنت الهدى مؤلفة (المرأة مع النبي) و(كلمة ودعوة)، والشيخ باقر القرشي مؤلف (النظام السياسي في الاسلام) و(حقوق العامل) وغيرهما، والشيخ محمد الخليلي مؤلف (الاخلاق في القرآن الكريم) و(امالي الامام الصادق) و(طب الامام الصادق) و(المطهرات في الاسلام)،

والسيد محمد الصدر مؤلف (نظرات اسلامية) و(اشعة من العقيدة) وغيرهم ممن تقوم على عواتقهم أعباء الرسالة الاسلامية الضخمة... بالاضافة الى العلماء الذين اشغلتهم مهمة المرجعية عن الكتابة والتأليف.

وكان في النجف نشاط صحافي اسلامي قوي. ففي وقت واحد تصدر فيها مجلات الاضواء والنجف والايمان والغري.

واصدرت (جامعة النجف الدينية) المؤسسة الاسلامية الكبرى في هذه البلدة مجلة اسبوعية راقية باسم «الجامعة».

## ٣ ـ انعاش الحركة العلمية والادبية:

وهذا جانب ثالث من رسالة النجف الاشرف، ولا يقل أهمية من الجانبين الاولين من رسالتها. وقد بلغت مدرسة النجف القمة في دراسة الفقه واصوله وطورت من ابحاثهما وجددت النظر منهما وبلورت مفاهيمهما. ويكفي ان يلقى الانسان نظرة واحدة على الموسوعات الفقهية النجفية كجواهر الكلام وكشف الغطاء ومفتاح الكرامة ومستمسك العروة الوثقى ليلمس مدى تطور البحث الفقهي في مدرسة النجف.

وقد المحنا الى ملامح من هذا التطور فيما تقدم من هذا الحديث، وسنستوفي البحث عن هذا الجانب في حديث مستقل ان شاء اللّه.

وفي دراسة الادب يكفي ان نقول ان الشيخ الرضي الاسترابادي كتب موسوعته النحوية الكبيرة (شرح الكافية) بحمى المرقد العلوي، كما يشير الى ذلك هو في كتابه. ولا يقل شرح الكافية عن كتاب سيبويه في شيء، مهما بالغنا في أهمية هذا الكتاب.

وفي المكتبة النجفية تراث فكري ضخم في الحديث واصـوله والتـفسير واصوله والرجال والتأريخ والرياضة والفلك والادب.

والنجف الاشرف منهل عذب من مناهل الشعر. وفيها يجد الباحث آفاقا رحبة والواناً جديدة من الشعر.

وليس هناك من يجهل مكانة الشبيبي الكبير واخويه والشرقي والجواهري والهاشمي والمطري والصافي والفرطوسي واليعقوبي والحبوبي وجمال الدين وبحر العلوم والقاموسي وحيدر وفضل اللّه والصغير من الشعر العربي ومـما فتحوا من آفاق واسعة وكشفوا من الوان جديدة فيه.

اما بعد فهذه لمحة خاطفة عن الحياة الفكرية في النجف الاشرف ارجو أن أكون قد وفقت في عرضها بأمانة واخلاص، وان أوفق فيما بـعد لان اتـبعها بدراسة أوفى منها.

# الفصل الثانى

## النشأة الفكرية والمشروع الاصلاحي

رأينا فيما تقدم من هذا الحديث انه لا يمكن فصل الشخص عن بيئته التي نشأ فيها، وعما تحمل هذه البيئة من ملابسات، اذا حاولنا ان نتناول حياته بالبحث.

وقد حاولنا لذلك ان نلم المامة سريعة بالحياة الفكرية في النجف، ونلقي اضواء جديدة على هذه الحياة التي يعيشها الطالب النجفي بما فيها من جدب وخصب وجفاء وعطاء.

وتوخينا من ذلك تعريف النجف الى القراء أولا، والتمهيد للبحث عن حياة الشيخ المظفر ثانيا. ووجدت فيما استعرضت من الكتب التي تعني بالنجف أن هذا الجانب من الحياة الفكرية في النجف تكاد ان تكون مهملة، ولو لم يقدر لها ان تؤرخ لضاعت فيما ضاع من ملامح التاريخ الاسلامي.

وسوف نحاول ان نلم المامة سريعة بالاجواء العائلية التي عاشها فقيدنا الشيخ محمد رضا المظفر في البيت لنتبين من خلال ذلك ملامح من نشأته الفكرية:

## بيت المظفر

اسرة المظفر من الاسر العلمية في النجف الاشرف، عرفت فيها في اواسط القرن الثاني عشر وقطن بعض رجالها الجزائر [1] التابعة للواء البصرة.

---

(١) محبوبة، الشيخ جعفر، ماضي النجف وحاضرها، النجف، ج ٣، ص ٣٦١.

وكان الفقيه المجتهد الشيخ محمد بن عبد اللّه والد الفقيه الشيخ محمد رضا المظفر من علماء النجف ومراجع التقليد فيها (نشأ في النجف وترعرع فيها، وكان في عنفوان شبابه منقطعا الى الجد والتحصيل، مكبا على العبادة والتدريس، الى ان برع في الفقه وعرف بجودة التحقيق فيه) وألف موسوعة فقهية جليلة شرح فيها كتاب (شرائع الاسلام) وسماها بتوضيح الكلام وقد استقصى فيه الفقه من مبدأه الى منتهاه)[1].

وولد الشيخ محمد رضا المظفر في اليوم الخامس من شعبان عام ١٣٢٢ بعد وفاة والده بخمسة اشهر فلم يقدر اللّه تعالى ان يظفر الطفل الرضيع برؤية والده ولا الوالد أن يظفر برؤية ولده فكفله اخوه الاكبر الشيخ عبد النبي المتوفى سنة ١٣٣٧ وأولاه من عنايته وعطفه ما اغناه عن عطف الابوة.

وكان الشيخ عبدالنبي فاضلا يؤم الناس في الصلاة بمسجد المسابك في النجف. وتولى رعايته الشيخ محمد رضا بعد وفاته اخوه الشيخ محمد حسن المظفر رحمه اللّه.

وكان الشيخ محمد حسن المظفر من المجتهدين الكبار ومن مراجع التقليد المبرزين. تخرج على الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب (الكفاية)، والسيد محمد كاظم اليزدي صاحب (العروة الوثقى) وشيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ علي الشيخ باقر آل صاحب الجواهر، وشهد له بالاجتهاد كثير من مشايخه.

وأهم مؤلفاته (دلائل الصدق) لنهج الحق في الامامية في ثلاث مجلدات طبعت سنة ١٣٦٩هـ، و«الافصاح في احوال رجال الصحاح»، وموسوعة

---

(١) آل المظفر، الشيخ محمود المظفر.

فقهية استدلالية، وهي شرح (لقواعد العلامة الحلي) في سبع مجلدات طبع منها كتاب الحج، و(حاشية على العروة الوثقى) و(رسالة عملية مطبوعة).

واما الشيخ محمد حسين المظفر اخوه الثالث فقد تخرج على الميرزا محمد حسين النائيني والشيخ آغا ضياء العراقي والسيد ابو الحسن الاصفهاني واخيه الشيخ محمد حسن.

وله آثار كثيرة مطبوعة كالصادق، وميثم التمار، والشيعة والامامة، والثقلان وتاريخ الشيعة وغيرها مما لم يطبع.

## نشأته الفكرية

ومما تقدم من حديث البيئة والبيت يلمس الباحث ملامح من نشأة الفقيد الفكرية.

فقد نشأ في البيئة النجفية وتقلب في مجالسها ونواديها وحلقاتها ومحاضرها ومدارسها، وحضر فيها حلقات الدراسة العالية، وتخرج على كبار مراجع التقليد والتدريس، وترعرع في هذا البيت العريق من بيوتات النجف العلمية، وتعهد رعايته وتربيته اخواه العلمان الشيخ عبد النبي والشيخ محمد حسن.

ويمكننا ان نقسم نشأة الشيخ الفقيد الفكرية الى دورين تفرغ في الدور الاول منهما للدراسة، بالشكل المعروف في مدرسة النجف، والذي تحدثنا عن اطراف منه، وحضر ابحاثها ودراساتها على مختلف مستوياتها، وبرع فيها ونال مرتبة الاجتهاد وشهد له بذلك اساتذته وشيوخه في التدريس، وكان في هذا الدور من حياته متجها للمرجعية، وكانت مواهبه الفكرية تؤهله لذلك ولان الشيخ تطلع في هذه الفترة من حياته الى لون جديد من التفكير،

واتجه الى اصلاح الوضع الدراسي واساليب الدعوة، وانصرف عن المرجعية وما يلابسها من شؤون، فقضى الدور الثاني من حياته في هذا الجانب من النشاط الاصلاحي.

وقد ابتدأ الدور الاول من حياته، بما يتعارف عليه الطالب النجفي من حضور الدراسات الادبية والفقهية والاصولية والعقلية.

وتتلمذ على الشيخ محمد طه الحويزي في الادب والاصول كما تتلمذ في الشعر، وبرع في ذلك كله، وتتلمذ على غيره من اساتذة دروس مرحلة السطوح في ذلك الوقت، وبرز الشيخ الفقيد في ذلك كله.

وبعد ان انهى الدور الاعدادي (السطح) تفرغ للدراسات العالية في الفقه والاصول والفلسفة.

وحضر فيها على اخيه الشيخ محمد حسن مع أخيه الآخر الشيخ محمد حسين، كما حضر درس الشيخ اقا ضياء الدين العراقي في الاصول، ودرس الشيخ مرزا محمد حسين النائيني في الفقه والاصول، وحضر بصورة خاصة ابحاث الشيخ محمد حسين الاصفهاني رحمه اللّه في الفقه والاصول والفلسفة الالهية العالية.

وحضر دورة كاملة بحث الشيخ محمد حسين الاصفهاني في الاصول في مدرسة النجف وفي غير هذه المدرسة من مدارس الاصول.

وانطبع الشيخ المظفر كثيرا بآراء استاذه الشيخ الاصفهاني في الاصول والفقه والفلسفة وجرى على نهجه في البحث في كتابه (اصول الفقه)، حيث تبع منهجه في تبويب الاصول، كما يشير هو الى ذلك في ابتداء الكتاب، كما تأثر بمبانيه الخاصة على ما يظهر ذلك من خلال كتابه الكبير (اصول الفقه)، فيما انجز من هذا الكتاب. ورأيت عنده نسخة كاملة من كتابه حاشية الكفاية

للاصفهاني قد استنسخه بيده، مما يدل على اهتمامه بما يتعلق ببحوث الاصفهاني وكان يجله اجلالا كبيرا، كلما جرى له ذكر، أو اتيح له ان يتحدث عنه، ويخلص له الحب والاحترام، أكثر مما يخلص تلميذ لاستاذه.

ويلمس القارئ هذا الشعور والوفاء فيما كتب المظفر عن استاذه في مقدمات كتبه الفقهية والفلسفية وفي مقدمة الاسفار وغيرها من رسائله ومقالاته.

وتخرج الشيخ كذلك على مشايخه في الفقه والاصول والفلسفة، واستقل هو بالاجتهاد والنظر والبحث وشهد له شيوخه بذلك.

وكان الشيخ خلال ذلك كله يشتغل بالتدريس على مستوى الدراسات الاعدادية والدراسات العالية في الفقه والاصول والفلسفة.

وتخرج عليه فيها جماعة من الفضلاء فيهم من بلغ بعد ذلك مرحلة الاجتهاد.

وابتدأ بدراسة المكاسب والرسائل للشيخ الانصاري، ثم شرع في التدريس العالي للفقه والاصول، واستمر في هذا اللون العالي من التدريس خارج كلية الفقه الى اواخر ايامه، قبل مرضه الاخير.

وكان يدرس في الفلسفة كتاب (الاسفار الاربعة) في بيته ويحضره جماعة من الفضلاء، ممن نشأوا على يديه، وبرعاية منه.

ذلك كله خارج مدارس منتدى النشر وكليتها اما فيها فقد نذر حياته على تنميتها وتطويرها بمختلف الالوان. وكان يقوم فيها بتدريس الادب والمنطق والفلسفة والفقه والاصول من المستوى الاولى الى المستوى العالي، لا تمنعه من ذلك مكانته المرموقة في الحوزة، ولا امكانياته الفكرية العالية.

وكم رأينا الشيخ محمد رضا المظفر يحاضر على الصفوف الاولى من

مدارس منتدى النشر ويتلقى اسألتهم برحابة صدر، ويدفعهم الى البحث والدرس والتفكير، ويحشر نفسه معهم، حتى كان يبدو للانسان، لاول وهلة، انه يخاطب زملاء له في الدراسة لا طلاباً بهذا المستوى.

وكان الشيخ يمتاز فوق ذلك كله بعمق النظر ودقة الالتفاتة وسلامة الذوق وبعد التفكير فيما تلقينا عنه من الفقه والاصول والفلسفة.

وحاول الشيخ في الدور الاول من حياته ان يلم بالعلوم الرياضية والفلك والطبيعة والعروض. واصيب في شبابه بمرض فأوصاه الطبيب ان يتجنب الدرس والتدريس مدة من الزمان.

واتاحت هذه الفترة فرصة طيبة للشيخ ليتقلب في كتب الرياضيات وان يستمر بعد ذلك في تعقيب هذا العلم باشراف بعض الاختصاصيين من مدرسي ثانوية النجف.

وكانت الثقافة العصرية لا تنفذ الى النجف الا نادرا، واتفق ان وقعت يد الشيخ على طرف من هذه الثقافة، وهو في بدء شبابه، فتذوقها، وحاول ان يشق طريقا لهذا اللون الجديد من الثقافة الى النجف، واتفق مع آخرين ممن كانوا يتذوقون هذا اللون الجديد من الثقافة على ان يراسلوا بعض المجلات العلمية كالمقتطف وبعض دور النشر لتبعث اليهم هذه الصحف والكتب التي تحمل اليهم هذا اللون الجديد من الفكر.

وكان مما يستوردونه من هذه الثقافة مؤلفات الطنطاوي الجوهري في التفسير والروحيات وبعض المجلات المصرية والكتب الادبية. وأتيح للشيخ فيما بعد ان يستمر على هذه الحالة ويواكب الحركة الفكرية الناشئة ويأخذ نصيبا وافرا من هذه (العلوم الجديدة)، كما كانوا يسمونها، ويتأثر بها تأثرا بالغا الى جنب تأثره بشيوخه في الفقه والاصول والفلسفة.

## آثاره العلمية

كان النشاط العلمي والكتابة والتأليف يشكل جزءا مهما من رسالة الشيخ محمد رضا المظفر ونشاطه.

واذا ضممنا نشاطه العلمي في التأليف والنشر الى نشاطه الاصلاحي على الصعيد العام والصعيد الدراسي للمسنا جانبا من هذا الجهد الكبير الذي كان يبذله الشيخ في حياته.

وفي كتابات الشيخ يقترن جمال التعبير وسلامة الاداء وجدة الصوغ وروعة العرض بخصوبة المادة ودقة الفكرة وعمق النظرة وجدة المحتوى، ويأتلف منهما مزيج من العلم والادب يشبع العقل ويروي العاطفة.

فقد كان يجري في الكتابة، كما يجري الماء، من غير ان يظهر عليه شيء من الكلفة أو التصنع، وينساق القارئ معه كما ينساق الماء على منحدر من الارض، من دون ان يعرقل سيره شيء ولا يصطنع في الكتابة هذه المحسنات البديعية التي تصرف الكاتب عن الانسياق مع الفكرة وتصرف القارئ عن مجاراة الموضوع.

والمواضيع التي كان يتناولها بالكتابة والبحث مواضيع علمية كالاصول والمنطق والفلسفة، يعسر على الاديب ان يصوغها صياغة ادبية أو يفرغها في قالب ادبي من التعبير. وقد توفق الشيخ الى ان يضم الى عمق المادة جمال العرض. واكثر ما يبدو هذا التوفيق في كتابه (احلام اليقظة) حيث يناجي فيها صدر المتألهين ويتحدث معه فيما يتعلق بنظرياته في الفلسفة الالهية العالية ويتلقى منه الجواب بصورة مشروحة وبعرض قصصي جميل.

ولا ابالغ اذا قلت ان الكتاب فتح كبير في الكتابة الفلسفية فلا تشكو الفلسفة شيئا كما تشكو الكتابة التي لا تخضع لها اداتها.

وقد حاول الشيخ المظفر ان يخضع الكتابة للفلسفة، أو يـخضع الفـلسفة للكتابة، ويجمع بينهما في كتابه هذا.

وتمتاز كتابات الشيخ المظفر بعد ذلك بروعة العرض والتنسيق، حتى أن كل نقطة من البحث تأتي في موضعها الطبيعي ولا تتغير عن مكانها الخاص حتى تختل اطراف البحث، ويبدو عليه الاضطراب ويتجلى توفيق الكـاتب في التنسيق في كتاب (المنطق) اكثر من غيره، ففي هذا الكتاب يجد القارئ كيف تأخذ المواضيع بعضها برقاب بعض، وكيف يترتب كل موضوع عـلى سابقه في تسلسل طبيعي، من غير ان يحيل الطالب الى موضوع آخر في غير هذا الكتاب أو الى ما يمر عليه فيما بعد.

ويعتبر الكتاب بالانضمام الى شقيقاته (الاصول) و(الفلسفة) التي لم يقدر اللّه لها ان تظهر، كاملة.. تجديدا في كتابة الكتب الدراسية، وفتحا فـي هـذا الباب، وعسى ان يقيض اللّه من يتابع خطوات الشيخ المظفر في هذا السبيل.

ويجد الباحث بعد ذلك في كتب الشيخ المظفر جدة البحث والتفكير التي تطبع كتاباته جميعا.

ويجد ملامح هذه الجدة في البحث والتحليل واضحة قـوية فـي كـتاب (السقيفة) عندما يحلل اجتماع المسلمين في سقيفة بني ساعدة، وما حدث هناك. وعندما يتحدث عن موقف المهاجرين والانصار مـن مسألة الخـلافة وموقف الامام مع الخلفاء.

كما يجد هذه الجدة في المنطق عندما يستعير العلامات المستعملة فـي الرياضيات للنسب الاربع أو عندما يعرض للقارئ بحث القسمة، أو في غير ذلك مما يزدحم به هذا السفر القيم من تجديد البحث وجمال العرض وترابط الفكرة.

ويلمح الباحث في هذه الرسائل والكتب التي خلفها الشيخ محمد رضا المظفر استقلال الفكر والنظر.

وكان يحسن بنا ان نشرح بعض النظريات العلمية التي اختص بها الشيخ في تفسير (الامر بين الامرين)، ومسألة اجتماع الامر والنهي وما شاكل ذلك، لولا ان صدر البحث يضيق بذلك.

ونحيل الباحث الى ان يراجع (اصول الفقه) أو (الفلسفة) ليلمس الجهد النظري الذي بذله الشيخ في تأليف الكتابين وسمات الاستقلال والشخصية فيما ينتشر بين دفتيهما من نظريات.

وقد وجدت للشيخ المظفر في مكتبته الخاصة كتابا قيما في تفسير القرآن الكريم وكتابا في التعليق على خيارات المكاسب وآخر في المواريث ومجموعة من المقالات العلمية والادبية ومذكرات لم تدخل المطبعة بعد.

## شعره

كان الشيخ المظفر يمارس النظم في شبابه بين حين وآخر وله شعر متين رقيق الديباجة، تجده منشورا في بعض الكتب والصحف. ويجد القارئ فيه، كما نعرض عليه نماذج منه فيما يأتي صورا شعرية طريفة ويلتقي فيه بآفاق ادبية جديدة. وانصرف عنه بعد ذلك الى غيره من الشؤون الفكرية البنّاءة.

وننقل الى القارئ صورا من هذا الشعر الذي ذكرنا بانه يمثل جانبا من ايام شبابه الاولى:

فمن موشحاته التي قالها بمناسبة قران الشيخ جواد قسام على طريقة المساجلة بين حمام الكوخ وهزار القصر مما تدل على يقظته وحسه المرهف وشاعريته المبكرة:

تضاحكت آفاقنا الضاحية    فلاطفتها خطرات النسيم
والحمد للّه على العافية    حتى الربا تزهو بثغر بسيم

* * *

وابتهج الروض بالوانه    فانفتقت تضحك اوراده
ودجلة فاض بطغيانها    فاستبشرت بالنور بغداده
وغرد الطير بالحانه    فانفلتت تصفق اولاده
لكن بكسر الكوخ في ناحية    حمام كوخ في الظلام البهيم
يصرخ في اصواته العالية    والطير يلهو بالهنا والنعيم

* * *

في جانب قام وفي جانب    قام هزار القصر فوق الغصون
يبسم هذا للضحى الآيب    وذاك يبكي لظلام السجون
يقول حكم القدر الغالب    قضى على الكوخ رهين الشجون
فاصبحت اربعنا خالية    وجفت الكأس وخان النديم
وكم لنا من جنة عالية    ومن زروع ومقام كريم

الهزار

فقام مبهوتا يحد النظر    الى حمام الكوخ كيف احتبى
فقال ما انت وهذي الفكر    فطر وذياك وسيع الربا
وفوقه اشرق نور القمر    والعصر عصر النور والكهربا
وخل عنك العصر الخالية    وما بها من نزعات القديم
فهل ترى للقوم من باقية    واصبحت ديارهم كالصريم

الحمام

هزار دعني وعقيم العنا    خوفي على صبابة في الوطاب

لقـد أتينا اليوم مـن هـاهنا فكم اضل العصر هذا الشباب
وكـم خـدعنا فشرعنا القنا ـ بمثل هـذا ـ لجـهاد العـقاب
فـصوحت اوطـاننا الخـالية وقـد فـديناها بـذبح عـظيم
يـتيمة الدهـر هـي الغـالية ولم يعر الذكـر ـ امـا اليـتيم ـ

الهزار

مـا كـنت ادعـوك لغير الحـبور ونـبذ تـلك العـيشة الجـافية
فاين من كـوخك زهـو القـصور وفـارهات الغـرف العـالية
واين مـن بـاسق هـات الزهـور اعجاز نخل فـي الثـرى خـاوية
هـيا فـذي آفـاقنا الضـاحية فـان فـيها نـهجك المستقيم
وكـم بـها مـن عـيشة راضـية لجـمعك اليـوم وخـير عـميم

وهكذا الى ان تنتهي هذه الموشحة الرقيقة على هذا النسق مـن روعـة الخيال والفكرة.

ومن شعره راثيا بعض العلماء الاعلام قوله:

جـف الغـدير فـلا زرع ولا ثـمر والربـع لقـوى فـلا عـين ولا أثـر
مـحافل كـن بـالايمان حـافلة مـن سـامها غـير ان الحـق مـنتحر
وكـم مـجالس عـلم زانـها ادب مـضت ولم يـبق الا ذكـرها العـطر
قضى الردى ان يبوح الدهـر شـرته فـيها فـيخبو زنـاد كـله شـرر

* * *

ارض الغـري ان بـي خـطأ بـلغت بـه
مـن رفـعة العـلم مـا انـقادت له الغـير
لا تـطمئني لشـيء طـاب ظـاهره
فـالماء يـصفو ولكـن تـحته الكـدر

مضت شيوخك وهي الاسد يوم علا
وما انتفعنا بمن من بعدهم زأروا
قد كنت عاصمة الاسلام وانعكست
تلك القضية لولا الذكر والصور
في كل يوم هلال منك منكسف
صفاؤه وظلام الحزن معتكر
مضى وكل فؤاد بعده ألم
منا وكل محب خلفه نظر
مضى فلاحت نقيات مآثره
ان الكواكب خلف الشمس تنتشر

وهكذا حتى تنتهي هذه القصيدة الغراء التي تقرأها مع كثير غيرها في شعراء الغري للشيخ علي الخاقاني والادب الجديد للسيد محمد جمال الهاشمي وغيرها من الكتب التي عنت بترجمة الشيخ المظفر.

## ملامح من شخصيته العلمية

ولابد ونحن نريد ان نختم هذا الحديث ان نشير الى ملامح من شخصيته العلمية، بشكل رؤس اقلام.

فقد مثل الجامعة النجفية في الحفلات العامة بكراجي بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على ولادة الامام علي (ع) سنة ١٩٥٧ كما مثل الجامعة النجفية في حفلات جامعة القرويين بفاس (المغرب) بمناسبة مرور ١١ قرنا على تأسيسها سنة ١٩٦٠ والقى بحثين هامين من اروع البحوث، نشرت في مجلة النجف ونشرته جامعة القرويين.

انيطت به سكرتارية منتدى النشر سنة ١٣٥٤هـ، ورئاستها سنة ١٣٥٦هـ عمادة كلية الفقه سنة ١٣٨٧هـ، وعضوية المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٨٣هـ.

القى محاضرات علمية قيمة عن آراء صدر المتألهين الفلسفية وحياة الشيخ الطوسي وفلسفة الامام في النجف الاشرف وفي خارج النجف. نشر في كثير من الصحف والمجلات العربية باسمه الصريح واسمه المستعار، كان منها(الهاتف)، و(النجف) بالنجف، و(الكحلاء) بالعمارة، و(العرفان) بصيدا، و(المرشد العربي) باللاذقية، و(الفكر) ببغداد وغيرها.

قام بامتحان الطلبة بالاشتراك مع اخوانه العلماء من قبل السيد البروجردي، وكان هو من الذين حثوا السيد البروجردي على ذلك.

شهد له بالاجتهاد واستقلال النظر جمع من كبار المراجع نذكر منهم استاذه الاكبر الشيخ محمد حسين الاصفهاني واخاه الكبير الشيخ محمد حسن المظفر.

اصطدم فكريا على صفحات الصحف والمجلات بكثير من اعلام الفكر. فجرى خلاف بينه وبين الدكتور احمد امين حول تشكيل مؤتمر يجمع بين آراء الشيعة والسنة على صفحات مجلة الرسالة.

وجرى في الهاتف مرة نقاش بين المظفر والدكتور مصطفى جواد حول كلمة «فوضى» التي قال عنها المظفر انه لا يجوز دخول الالف واللام عليها بينما قال الدكتور يجوز ذلك واستلزم هذا الموضوع الاخذ والرد على صفحات الهاتف. وبعد مناقشة طويلة طلب الشيخ محمد رضا من الدكتور مصطفى جواد ان يأتيه بالنصوص والدلائل التي قبلت دخول الالف واللام على «فوضى» فاجابه الدكتور بما مضمونه انه انما يرى الجواز

فبمقتضى ما يستطيعه اجتهادا. وهنا استراح المظفر وقال: لم لم تقل يا سيدي انك ترى هذا الرأي بداعي الاجتهاد لاوفر لنفسي مشقة الاخذ والرد منذ الساعة الاولى.

وعلى ذكر اللغة فقد روى الاستاذ محمود شيت خطاب وزير الشؤون البلدية والقروية وعضو المجمع العلمي العراقي والشيخ محمد رضا المظفر من اعضائه ايضا، قال انه تلقى المجمع العلمي قبل مدة وجيزة من مجمع اللغة بمصر رسالة حول موضوع من المواضيع. وقد قرأنا الرسالة كلنا وقرأها الشيخ محمد رضا، ولكن المظفر لفت نظرنا الى ورود خمس اغلاط لغوية في تلك الرسالة. وقال: انه «لم يكن من الادب تسقط السهو والغلط في الرسائل التي تردنا لو لم يكن مصدر هذه الرسالة مجمعا لغويا»)[1].

## التوجيه الاجتماعي

وطبيعة مركزية النجف الاسلامية والعالمية تتطلب منها ان تحدد موقفها من القضايا السياسية والاجتماعية التي تجري في العالم الاسلامي، ولا يمكنها بحكم هذه المركزية ان تقف من هذه القضايا موقف اللامبالاة واللاأدرية. فلايزال المسلمون في مختلف الاقطار الاسلامية يتوجهون الى النجف الاشرف فيما يتوجهون اليه من المراكز الاسلامية لاستطلاع رأيها فيما يتعلق بالاحداث وقضايا الساعة.

الا ان حساسية مركز النجف تتطلب منها الحيطة والحذر في تحديد موقفها من هذه القضايا والاحداث. حتى كان يعتبر البعض هذا التحفظ

---

(١) جريدة البلد، ٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٦٤.

والحيطة ازاء الاحداث صورة من اللامبالاة والانطوائية. ولكن ما اقرب ان يتبدد هذا الوهم عندما يلمس الباحث ملامح من تاريخ النجف السياسي والنضالي، فقد ساهمت النجف في غير واحد من الحركات السياسية التي اجتاحت البلدان الاسلامية وكان في كثير من هذه الحركات محور النشاط السياسي.

ولم تسلم جهة سياسية في تاريخ البلدان الاسلامية من تحديد مواقفها من الاحداث السياسية عن الانحراف والانزلاق كما قدر ذلك للنجف في هذا المجال، مع العلم بان النجف كانت تعيش بحكم مركزيتها الدينية طيلة هذه المدة في صميم الحركات السياسية والاجتماعية، ويرجع الفضل في ذلك كله الى تلك الحيطة التي كانت تتخذها النجف في كل خطوة من خطواتها أو نشاط من نشاطاتها الرائدة. وقد قامت النجف بحركات تحريرية كبيرة في الوطن الاسلامي الكبير في الادوار المعاصرة. ودعت المسلمين الى تبنّي هذه الحركات وساهمت في كثير من الحركات التي كانت تقام في أرجاء الوطن الاسلامي وساندت المسلمين في صراعهم مع الاستعمار في كثير من المواقع. ولكي نشير الى مواقف النجف من الاحداث السياسية العامة نستعرض بعض هذه المواقف في هذا الحديث:

### ١ ـ حادثة الاتراك:

حينما وقفت الدولة العثمانية بعد اعلان الحرب العالمية الاولى وجهاً لوجه امام بريطانيا وحليفاتها وجدت النجف نفسها ازاء مشكلة ثنائية، فقد لاقى العراق طيلة الاحتلال العثماني الوانا شتى من الاهوال والارهاصات. بالاضافة الى ان الدولة العثمانية لم تكن لتمثل الاسلام في شيء عدا الاسم وبعض

المظاهر الجانبية. وقد كانت بريطانيا تعمل لتقليص ظل هذه الدولة من العراق اما من الزاوية الثانية فقد كانت الدولة البريطانية دولة كافرة بما في هذه الكلمة من صراحة ووضوح ولا يمكن ان تعمل هي لحساب العراق أو لحساب الاسلام بأي شكل من الاشكال وان قدر لها ان تزحزح الاتراك عن العراق فسوف تحتل هي مكانهم.

ومهما يكن من امر فان معاملة الاتراك اهون على المسلمين من معاملة الانجليز. وكل ذلك كان يبعث علماء النجف الاشرف على مساندة الاتراك والوقوف امام بريطانيا وجهاً لوجه (ونهض علماء النجف وافتوا بوجوب الدفاع عن بيضة الاسلام فهاجت الشيعة لدفاع الانجليز وانتظمت الجبهات الحربية ولم يكتف العلماء بذلك فقط بل خاضوا تلك المعامع بانفسهم وكان اشدهم جهاداً المرحوم العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي فانه قاد جيشا جرارا الى جبهة الشعيبة منظما من مجاهدين متطوعين ومسوقين قسرا قد شملتهم الجندية، وكذلك العلامة شيخ الشريعة والعلامة السيد علي «داماد».

ولم تمض مدة حتى ظهر الضعف في صفوف الاتراك وآل الامر الى انسحابهم عن العراق وقيام حكومة محلية في النجف الاشرف. كما هو مفصل في كثير من الكتب المعنية بمثل هذه المواضيع.

## ٢ ـ ثورة النجف:

بعد حادثة جلاء الاتراك عن الاراضي العراقية اخذت بريطانيا تمد من سلطانها على المدن العراقية.. وقد كانت تحكم النجف يومذاك حكومة محلية امتدت قرابة السنتين فاغرى بريطانيا بعض الزعماء ونفذت عن هذا الطريق

الى النجف، كما نفذت الى غيرها من البلدان العراقية وبسطت نفوذها وسلطانها عليها. فتأسست في النجف في هذا الوقت جمعية سرية تحاول استرجاع الحكم من بريطانيا، تمهيدا لقيام ثورة اسلامية شاملة في ارجاء العراق.

وكان من ابرز اعضاء هذه الجمعية السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ جواد الجزائري رحمهما اللّه.

الا أن بعض التصرفات الفردية من قبل بعض الزعماء ادى الى فشل الجمعية. وقد حاولت بعد ذلك اثارة الشعور الديني في العشائر المجاورة للنجف وتخليص النجف من الحكم البريطاني الغاشم ولكن الزلة الاولى كانت كافية لامتداد فشل هذه الجمعية.

وحكم على السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري بالنفي الى الهند لكن تدخل الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية والشيخ خزعل حال دون تحقيق هذا الحكم[1].

### ٣ ـ حوادث الثورة العراقية:

كانت الدولة البريطانية قد وعدت العراقيين غير مرة اثناء الحرب العالمية ان يترك لهم الامر بعد نزوح الاتراك عن العراق في تشكيل حكومة اسلامية مستقلة، لا تتصل بأي جهة استعمارية، مهما كان شكلها.

كان من هذه الوعود تصريحات الجنرال «مود» غازي العراق ومنها

---

(١) يراجع بتفصيل الحركة في (ماضي النجف وحاضرها)، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤٩ ـ ٢٤٥.

تصريحات الكولونيل «ولسن» الحاكم الملكي العام التي وجهها الى علماء النجف واعيانهم برقيا.

واخذت بوادر الخلف بالوعد تظهر من سير الانجليز في الحكم والادارة واخذ الانجليز يحاولون نصب (كوكس معتمد الحكومة البريطانية في العراق رئيساً للحكومة العراقية).

كل ذلك أثار غضب العلماء فاصدر الامام الشيرازي زعيم الثورة العراقية فتوى بعدم جواز انتخاب غير المسلم للقضية.

وزار الكولونيل «ولسن» النجف الاشرف لهذا الغرض ودعا فريقا من العلماء وزعماء العشائر المجاورة، وكان ممن حضر المجلس الشيخ جواد صاحب الجواهر والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي والشيخ محمد رضا الشبيبي وجماعة من زعماء العشائر كالشيخ عبد الواحد سكر ولفتة آل شمخي ومرزوك العواد ومجبل الفرعون وغيرهم.

وبعد ان ابدى (الميجر نوربرى) رغبة بريطانيا وحلفائها في معرفة آراء العراقيين فيما يخص مسألة الحكم والادارة قام الشيخ محمد رضا الشبيبي وقال: (ان الشعب العراقي يرتأى ان الموصل جزء لا يتجزأ من العراق وأن العراقيين يرون من حقهم ان تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالا تاما وليس فينا من يفكر في اختيار الحاكم الاجنبي).

وغاظ الحاكم البريطاني هذا الكلام الجريء وأخذ يضرب بيديه على المنضدة التي كانت أمامه، وحاول أن يجد في الحاضرين من يختلف عن رأي الشيخ الشبيبي فلم يمكنه ذلك.

وأفتى الامام الشيرازي فيما بعد، وبعد أن استفحل الامر وتجاوز حده (بوجوب الدفاع والثورة).

وكذلك أنبثقت هذه الثورة الاسلامية في سائر انحاء العراق يتقدمها أعلام العراق من النجف وكربلاء. وتوفى فيما بعد الامام الشيرازي في كربلاء واستقل شيخ الشريعة الاصفهاني من النجف الاشرف بتوجيه الثورة.

ونجحت الثورة في تحقيق بعض المطالب الاسلامية التي كان يطالب بها العراق في ذلك الوقت. ولكن المخطط الثوري لم يمتد مع الاسف الى ما بعد ايام الحرب ولم يتجاوز ميادين الجهاد، واستغلت الجهات الاستعمارية الكافرة هذا الفراغ الذي تركه هذا الاهمال وتوغلوا من جديد في حياة الامة العراقية المسلمة بشكل آخر.

## ثورة المشروطة في ايران

ضاق الشعب الايراني في عهد محمد علي شاه القاجار بظلم الحكومة القاجارية. فقد كان الحكم القاجاري حكما دكتاتوريا قاسيا، وكانت السلطة تتمركز في البلاط الملكي، والملك يتصرف في مصالح الامة وليس هناك من يحاسبه على تصرفاته.

وثار الشعب الايراني على هذا الوضع وطالبوا بتشكيل حكومة تساهم فيها الامة في تقرير مصيرها وساند العلماء من النجف الاشرف هذه الثورة الاسلامية على ان تتم صياغة الدستور في ضوء التشريع الاسلامي ويكون للعلماء اشراف على سير المجلس النيابي.

وكان المرجع الديني الكبير الشيخ محمد كاظم الخراساني (الاخوند) يقوم في النجف بتوجيه الحركة ومعه طائفة من وجوه طلابه كالمرحوم السيد ابو الحسن الاصفهاني والمرحوم الميرزا محمد حسين النائيني والسيد هبة الدين الشهرستاني رحمهم اللّه.

واصدر الشيخ النائيني في هذه الفترة باشارة من الشيخ الخراساني كتاباً

في وجوب المشروطة أسماه «تنبيه الامة وتنزيه الملة» كما اصدر غيره من الاعلام ابحاثا خاصة بهذا الموضوع.

وكانت مجلة «العلم» التي كان يصدرها السيد هبة الدين الشهرستاني في هذا الوقت تعتبر لسان الدعوة الناطق.

وقد نجحت حركة المشروطة ونزل الشاه عند رغبة العلماء الاعلام لكن العلماء لم يمدوا ثورة المشروطة بالامداد الفكري الكافي بعد نهاية الثـورة، واستولى رضا بهلوي على الامر ورجع الحكم الى اسوأ مما كان عليه في عهد القاجار.

## دور المظفر في التوجيه الاجتماعي

وفقيدنا الكبير الشيخ المظفر رحمه اللّه كان امتدادا طبيعيا للبيئة النجفية في صراعه الدائم مع الاستعمار وسعيه المتواصل في التـوجيه الاجـتماعي وكفاحه الاسلامي المستمر.

وقد عاش كثيرا من هذه الحركات، ولم يعاصرها فحسب والتأم بها فكريا وعاطفيا، وصار جزءا من كيانه. يهمه من امرها ما يهمه من امر نفسه.

وساهم في القضية العراقية مساهمة فعالة في طليعة الشباب الذين تـبنوا القضية، وعانا من فشلها ما يعانيه الانسان من فشل تجاربه الحياتية الخاصة وتأثر بذلك فكريا وعاطفيا.

وكان يعيش هذه الاحداث كما لو كانت جزءاً من كيانه الخاص ويمتزج بالثورات والدعوات الاصلاحية حتى يكاد ان ينكر ذاته في البين.

ولم يشعر يوما من الايام انه يعيش وحده، في عزلة اجتماعية في زاوية من بيته المتواضع أو جانب من مؤسسة منتدى النشر بل كـان يشـعر دائـما

بوضوح وقوة انه جزء من الامة الاسلامية يعنيه ما يعنيها من امر ويمسه ما يعرض لها من سوء.

## محنة فلسطين والجزائر

وكان يجد في محنة فلسطين والجزائر محنة النفس الكبيرة التي تضيق بمثل هذا العداء السافر وكان يقاسي وهو في بيته أو على مكتبه الخاص في منتدى النشر آلام المسلمين في الجزائر وفلسطين ويتحدث لمن حوله عما يخالج نفسه من شعور أزاء هذه المحنة بين جوانحه اكثر مما يعيشها المسلمون هناك. وقد تجلى ذلك اكثر في كتاباته في حقل «اسمعني» المنشورة في بعض المجلات. وفي البرقيات التي طيرها الى بعض الجهات الدولية المعنية.

## محنة مصر

وفي سنة ١٩٥٦ حدثت محنة مصر المعروفة، وواجهت مصر الاسلامية العدوان الثلاثي الاثيم وجاهدت جهاد الابطال، بعد ان تحمّلت الشيء الكثير من الخسائر في الارواح والاموال ووقفت الى جنبها البلدان الاسلامية لتعبر عن شعورها الاسلامي ازاء هذا العداء السافر.

وكان وقع المحنة شديدا على المسلمين في جميع اقطار العالم الاسلامي وكان الاستياء عاما في صفوفهم.

وكان الشيخ المظفر يعاني هذه المحنة في نفسه الكبيرة التي اخذت تضيق بهذه الوحشية السافرة، وهو لا يملك شيئا للدفاع عن حقوق اخوانه المؤمنين في مصر غير الدعاء والابتهال الى اللّه بالنصر والغلبة وقد ابرق رحمه اللّه البرقية التالية الى اخيه شيخ الازهر وبعض الجهات السياسية.

بسم اللّه الرحمن الرحيم محافل النجف الاشرف تعج صارخة اليه تعالى

بدعائها لانقاذ مصر المسلمة وتبتهل اليه ان يأخذ بناصركم ويرفع لواءكم والقلوب تقطر دما من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية اعداء الاسلام والانسانية. والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شد أزركم.

تشرين الثاني ١٩٥٦

عميد كلية منتدى النشر

### محنة المد الشيوعي وتجربة جماعة العلماء

وينقلب الحكم في ١٤ تموز بين عشية وضحاها وينفذ الشيوعيون الى الحكم ويضعوا ايديهم على مصالح البلاد ويمتد سلطانهم الى سائر المرافق والجهات وينتشر الارهاب الشيوعي بصورة فضيعة ويمتحن المسلمون امتحانا عسيرا في ايمانهم بهذا الدين. وينجرف معهم من هان عليه دينه ويصمد أمامهم مَن عزّت عليه عقيدته.

ويقدّر اللّه للشيخ المظفر أن تتصل به أسباب الحياة ويدرك هذه الفترة الحالكة من تاريخ العراق، ويساهم مع المجاهدين من المؤمنين في اجلاء هذه الفتنة.

يعاني بنفسه هذه التجربة الجديدة بما فيها من مرارة وقسوة، ثم يجد في هذه التجربة القاسية ملامح الضعف في الدعوة والخطأ في السلوك نحو التوجيه ـ وعز من لا يخطأ ـ ولا جدوى في اللوم والعذل فيشمر عن ساعد الجد لتصحيح أخطاء الماضي وملء فراغات الدعوة بجدٍ ومثابرة لا يعرفان الملل، ويحاول ان يعالج الداء بعد أن استفحل أو كاد، بصورة سريعة قبل ان يسري الى سائر أجزاء البلد الاسلامي العزيز. فيجتمع مع الآخرين من اخوانه العلماء

المجاهدين ويجتمعون اليه يتحدث اليهم ويتحدثون اليـه. وتـتمخض هـذه الاحاديث والاجتماعات عن (جماعة العلماء) ويكون الشيخ المظفر من أبرز اعضائها العاملين فيعقدون الاجتماعات السرية والعلنية ليضعوا منهاجا للعمل وليصمدوا أمام التيار الشيوعي وليردوا الى المسلمين بعض الامن الذي سلبه الشيوعيون. وقد لاقى عملهم هذا رقابة شيوعية قاسية، ويكلل اللّـه العـمل بالنجاح ويجتمع العلماء على مقاومة التيار ومـن ورائـهم جـماعة العـلماء الافاضل ومن ورائها المسلمون.

وتنشر جماعة العلماء نشرتها الاولى فيتلقفها المسلمون وتتوالى النشرات وتعقبها الكتب وتتلوها الاحتفالات الاسلامية الهامة وتضطر الشـيوعية ان تتراجع امام هذا الزحف المقدس وينحسر ظل الشيوعية البغيض عن هذا البلد ويؤوب المسلمون باطمئنان الى ظـلال الاسـلام الوفـيرة، بـعد أن حـاولت الشيوعية ان تكدره عليهم بمحاولة فاشلة.

وتعود الجماعة الى عملها المعتاد، بعد أن قطعت هذا الشوط في مـقاومة التيار الشيوعي محملة بتجارب ضخمة في الدعوة والعمل.

وكان المد الشيوعي فتنة امتحن اللّه بها المسلمين في هذه الفترة من الزمن، ولكنها عادت عليهم بالخير بما حملتهم مـن تـجارب وبـما صـححت مـن اساليبهم في العمل.

وقدر للشيخ المظفر رحمه اللّه ان يساهم في هذا العمل الضخم ويواكب الموكب المظفر في جميع خطواتها، ويجني بنفسه ثمار الظـفر ويـرجـع الى (كـلية الفـقه) ليـمونها بـما افـادته هـذه المـحنة مـن تـجربة فـي العـمل والدعوة.

## محنة الاحوال الشخصية

ولم تنجل هذه المحنة عن هذا الشعب المسلم الا لكي تعود اليه بصورة اخرى. فقد حاول عبد الكريم قاسم بايحاء من المستعمرين اقصاء الدستور الاسلامي عن الاحوال الشخصية، بعد ما تم لهم ذلك في مجالات الحياة العامة من سياسية وحكم واقتصاد.

وقرر الطاغية أن يقوم بهذه المهمة ويلجأ المسلمين الى القوانين الكافرة فيما يمس شؤونهم الشخصية من طلاق وزواج وميراث وما الى ذلك من الاحوال الشخصية ونفذ القرار وصدر قانون الاحوال الشخصية بهذه الصورة.

وواجه العلماء هذه المحنة الجديدة، بعد تجربة الارهاب الشيوعي، بايمان وقوة لا يشوبه ضعف أو تردد، وأبرقوا الى الجهات المختصة بمخالفتهم لهذا القرار ومنافاته الصريحة للدستور الاسلامي واثاروا الرأي الاسلامي العام في العراق وفي غير العراق وأنذروا الحكام بما وراء هذه الاعمال من العواقب السيئة.

وساهم الشيخ المظفر في هذه الحركة مع اعلام الفكر والجهاد في النجف الاشرف بعد ان أدرك خطورة هذا العمل بالنسبة الى الدستور الاسلامي والحياة الاسلامية، وارسلت الكلية بايعاز منه تقريراً مفصلا الى الدولة تشرح فيها بعض وجوه الاختلاف بين قانون الاحوال الشخصية والدستور الاسلامي، نشرت في وقته في مجلة النجف.

وأبرق عدة برقيات الى رجال الحكم والادارة ينذرهم سوء العاقبة نذكر منها البرقية التالية التي نشرت فيما بعد على صعيد واسع:

بسم الله الرحمن الرحيم «لقد اطلعنا على قانون الاحوال الشخصية فوجدناه يصطدم في كثير من مواده بالقانون الاسلامي المقدس وبنصوص

القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأسفنا ان يشرّع مثل هذا القانون، ولا سيما في العراق البلد الذي يرجع اليه المسلمون أجمع في تعرف أحكام الاسلام الحنيف وتشريع القرآن الكريم فكان الجدير بقانون الاحوال الشخصية أن يكون صدى لصوت القرآن ونسخة مطابقة لاصل قانون الاسلام لا يحيد عنه، فالمأمول من سيادتكم اصدار الامر بتعديله على وجه يطابق القانون الاسلامي».

محمد رضا المظفر

النجف الاشرف

مع ثلاثة من الاعلام الاخرين

**محنة ايران المسلمة**

ولا تسلم ايران المسلمة من هذه المحنة التي امتحن اللّه بها المسلمين في هذه الفترة من تاريخهم، فتقرر الحكومة الايرانية ان تلغي الدستور الدائم وتضع بعض القوانين الجائرة بشكل لا يتلائم والتشريع الاسلامي.

وكانت الحكومة تهدف من وراء ذلك التلاعب بما تبقى من ملامح الدستور الاسلامي في بنود القانون. فيثور العلماء في ايران بوجه الدولة ويثيرون الرأي العام، وتصر الحكومة بدورها على الاستمرار في العمل ويلقى القبض على علماء قم المقدسة المعارضين والمجاهدين في ظلمات السجون بقسوة متناهية وتواجه الآخرين بالتهديد والارهاب.

ويقف علماء النجف الاشرف في وجه الحكومة الايرانية من النجف يطالبون بتحقيق مطالب العلماء والافراج عنهم وانهاء هذه الاعمال اللاانسانية ويبرقون الى رئيس الدولة والجهات السياسية عشرات البرقيات،

يصرون على مطالبة الحكومة بذلك، وينورون الرأي العام الاسلامي من النجف بما يحدث في ايران المسلمة وبما يجري على اخوانهم المجاهدين من علماء ايران.

ويقدر للشيخ المظفر رحمه اللّه، وهو يعيش المحنة الجديدة بنفسه أن يساهم في هذه الحركة، ويجتمع مع العلماء في النجف الاشرف، في بيته العامر أو في غير بيته وليدرس المشكلة دراسة معمقة ويخطط العمل ويسعى لانقاذ الموقف في ايران ومواصلة اخوانه من العلماء المجاهدين في هذا البلد الاسلامي العزيز بما يسعه من المواصلة. وكان يكتب بنفسه كثيراً من النشرات التي صدرت عن النجف في هذه الفترة ويوشحها بتوقيعه الكريم، فيمن يوقع من اعلام الفكر والجهاد في النجف الاشرف.

## التحديد بين الايجاب والسلب

مهما حاولنا أن نبالغ في ضرورة تحديد الموقف من الاحداث والقضايا الاجتماعية، فليس هو العمل كله. والمهم بعد تحديد الموقف أن يتخذ الانسان موقفاً ايجابيا من الاحداث الاجتماعية ولايكفي أن يتخذ الانسان موقف (الرفض)، و(السلب) من الانحراف الفكري اذا كان يحمل اتجاها عقائديا خاصا.

والموقف السلبي ازاء الاتجاهات الفكرية المنحرفة وان كان لوناً من الوان تحديد الموقف الا أنه تحديد ميت، لا ينبض بالحياة ولا ينهض بالاتجاه العقائدي الذي يحمله صاحبه.

وحينما تحكم النجف بشيء أو تحدد موقفها من وضعية اجتماعية خاصة فانها تحكم باسم الاسلام وتحدد موقف الاسلام من تلك الوضعية.

وهذه العملية الخطيرة تتطلب من الحيطة في الحكم ما لا تتطلبه أية عملية اجتماعية اخرى.

ولا يسلم الانسان في الغالب، مهما أوتي من نظر وحكمة عن الخطأ والانحراف في الحكم، ما لم يدرس الوضعية الاجتماعية وما يحفها من الملابسات.

والاحداث السياسية، ولا سيما ما يتصل منها بقضايا الساعة محفوفة في الغالب بملابسات خفية، لا يتيسر للمرجع الديني أن يحدد موقف الاسلام منها بنظرة مستعجلة وحكم مرتجل.

وهذه الملاحظة كانت تدعو النجف كثيراً الى التحفظ من التسرع في الحكم في أمثال هذه القضايا.

والايجابية هي السبيل الوحيد للعمل المثمر والدعوة البناءة التي تنبض بالحياة، والتي تواكب التطور الانساني في جميع خطوطها.

والانحراف مهما كان نوعه، لا ينشأ غالباً الا عن (الحاجة) ولا تقف هذه الحاجة عند حد خاص، فهي في تطور مستمر ويسر متواصل، تتطلب الاشباع بالحاح، والوضعية الاجتماعية المحافظة لا تفي باشباع الحاجات الانسانية المتطورة، عندما تجمد في اطار اجتماعي خاص.

فان لم يوات الحاجة الانسانية المتطورة تطور مماثل في الوضعية الاجتماعية في الاتجاه الصحيح فان الانسان يلتجأ الى ان يشق طريقه بخط منحرف، ويدفع الوضعية الاجتماعية في اتجاه مخالف فيه التواء كثير.

فالانحراف في الغالب، تعبير ملح عن الحاجة الانسانية.

وفي كل اتجاه فكري منحرف عنصران يعبر (الاول) منهما عن الحاجة التي يعانيها الانسان في نفسه ومجتمعه، ويعبر (الثاني) منهما عن جهل الانسان

بالخط الصحيح الذي يواكب حاجاته المتطورة.

وقلما تحدث دعوة جديدة أو فكرة حديثة منحرفة يستجيب لها الناس من دون أن تضم هذين العنصرين، فلا يمكن ان تتلقى استجابة من الناس، ولا يمكن ان يعرض الداعية نفسه للدعوة، مهما كانت البواعث التي تحمله على هذا العمل. فلابد لكل عرض من طلب مماثل، واذا كان العرض لا يلاقي استجابة وطلباً من الجانب المقابل، فلا يقدر له أن يتقدم خطوة الى الامام.

وفي ضوء هذا التعريف لا يكفي أن يتخذ الانسان موقفاً سلبياً من الاتجاهات الفكرية المنحرفة أو الاحداث السياسية وقضايا الساعة.

والنظرة السلبية التي تتمثل في (الرفض) و(المنع) تنصب على عنصر الانحراف والجهل في القضية السياسية في الوقت الذي تهمل فيه عنصر الحاجة الباعثة على هذا السلوك المنحرف.

وجذور المشكلة كامنة في الجزء الاول، وليس في الجزء الثاني، اي استجابة لهذه الحاجة بصورة غير صحيحة.

ولا تكفي معالجة المشكلة في هذا الجزء بالمنع والرفض، ما لم تتزحزح الحاجة عن موقعها من النفس والمجتمع، وما لم تجد هذه الحاجة اشباعاً مماثلا على الخط المستقيم.

والعلاج الصحيح في هذه المسألة ـ عوض النفي والرفض ـ ايجاد اتجاه جديد يواكب الحاجات الانسانية المتطورة في ضوء تعاليم الاسلام ازاء الاتجاهات الاخرى، والاستجابة للحاجات الانسانية في شكلها المتطور على الخط الاسلامي العام.

وفي هذا الاتجاه الجديد يجد الناس تلبية صحيحة لحاجاتهم وصيانة عن الانحراف والانزلاق، وترفعاً عن الابتذال الذي لا يليق بالانسان.

فمن الخطأ أن يعاكس الانسان، وهو فرد ضعيف، أو مجموعة من الافراد تيار الماء الجارف، عندما ينحرف عن الاتجاه الصحيح.

واذا قدر له أن يعاكس التيار لفترة من الزمن ويتخذ منه موقف السلب والنفي، فلا يتاح له، مهما احسنا به الظن، ان يستمر في مثل هذا الوضع السالب مدة طويلة من الزمن، حيث لا يمر عليه حين حتى تنهكه هذه المقاومة السلبية التي لا تنم عن ادراك صحيح لواقع المشكلة ووعي لملابساتها، وينجرف مع التيار بعد ان نفذت طاقته في المقاومة.

ولو كنا نحسن فهم واقع المشكلة، ونعي ملابساتها، لعلمنا ان المشكلة لا تكمن في (الانحراف) وحده، لنتخذ منه مثل هذا الموقف السالب، بل ان جذور المشكلة تكمن في دفع التيار الذي لا يمكن أن يرجع الى الوراء ولا يمكن أن يقف عند حده.

والعلاج الصحيح هو تعديل المجرى مع المحافظة على (دفع المجرى) الى الخط الصحيح، وليس في مقاومة التيار أي نفع غير الانهاك والانجراف مع التيار.

والمشكلة التي نعيشها ليست مشكلة (التحديد) و(اللامبالاة) فان طبيعة موقع النجف الاشرف من العالم الاسلامي يتطلب منها أن تحدد موقفها بشيء من الاحتياط من أحداث السياسة وقضايا الساعة، ولا يتاح للنجف أن تقوم من هذه الاحداث والقضايا موقف اللامبالاة. بل المشكلة تكمن في فهم الواقع الاجتماعي وما يحفه من الملابسات، وما يطرأ عليه من الاحداث، وما يصلح له من فنون العلاج.

وفي تاريخنا المعاصر يلمح الباحث ملامح من هذه السلبية خلال الادوار المشرفة التي قام بها المجاهدون في تحرير الامة الاسلامية من ذل الاستعمار

وعبودية الجاهلية، ومن خلال التجارب المريرة التي عانا منها المسلمون في الصراع مع الجهل والاستعمار.

وقد كانت هذه السلبية تؤدي الى الفشل في بعض الاحيان، وتقدم اتعابنا وجهودنا (لقمة سائغة) لاستغلال الآخرين في حين آخر.

ونحن نستعرض أمثلة على ذلك من الامس المنصرم لا نريد ان نسترجع ذكريات الامس المرة، ولا نحاول ان نحاكم الرجال الافذاذ الذين تولوا الصدارة والمرجعية الدينية والنشاط الاسلامي في ذلك الدور من أدوار التاريخ المعاصر.

فقد كانت تكتنف ظروفهم الاجتماعية من الملابسات الخفية ما يبرر لهم مثل ذلك الموقف من الاحداث الاجتماعية، وقد توجد عوامل اخرى تغيب عنا، ولا تصح المحاكمة الغيابية ما لم تتوفر لدى الباحث معرفة العوامل التي تدخلت في القضية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

فنحن اذ نستعرض ملامح هذه السلبية في التفكير والنشاط الاجتماعي لا نحاول أن نستعيد الماضي بما كان يحفه من ملابسات وتجارب. وانما نريد أن نصحح خطواتنا في ضوء من تجارب الماضي، في يومنا الحاضر.

لقد لمس الاستعمار، منذ عهد ليس ببعيد انه لا يستطيع أن يحافظ على مصالحه الاستعمارية في البلدان الاسلامية ما لم يتراجع الاسلام، وما لم يزحزح هذه العقيدة عن نفوس المؤمنين فلا يمكن أن يسمح الاسلام، وهو يحكم بلاده، ان ينفذ الاستعمار في البلاد، ويضع يديه على مصالح المسلمين وثمرات بلادهم.

وأدرك الاستعمار ان لا حيلة له مع الشيوخ والشباب الذين نشأوا على هذه العقيدة. والسبيل الوحيد للعمل هو الاهتمام بتوجيه الناشئة توجيها لا اسلامياً

في مدارس خاصة، تفتح لهذا الغرض، ومازلنا نتذكر كلمة (مس بل) في هذا الصدد: «ان رجال الدين كانوا من أكبر دعاة الثورة في العراق خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها، وهذا مما دعا رجال الحكم الى انشاء المدارس الحديثة لكي يضعفوا بها الدين في نفوس الجيل الجديد ويقتلعوا بذلك جذور الثورة من أساسها»[1].

وقد أدرك العلماء يومذاك خطورة الموقف الجديد فدعوا المسلمين الى مقاطعة المدارس الرسمية والى مقاومة التيار الاستعماري الجديد وقد أوشكت هذه الخطة ان تموت في مهدها ولا ترى النور، لولا ان فكرة المقاومة استمرت في اطارها السلبي ولم تتجاوز حدود (الرفض) و(المنع).

وبقت الدراسة والتربية في بعض البلدان الاسلامية مهنة يباشرها بعض الكتاتيب بأساليب قديمة بالية، تذكر الانسان بأساليب التربية والتعليم في القرون الوسطى.

ولم يحاول أحد توسعة مناهج التربية والتعليم وتطوير أساليب الدراسة والتربية ومواكبة التطور التربوي والدراسي في العالم.

فلم يمض حين من الزمن حتى اكتسح سيل التجديد والتطوير في أساليب التربية والتدريس كل هذا الجهد، والتجأ المسلمون الى أن يرجعوا الى أحضان هذه المدارس بما تحمل من مفاهيم وأفكار بعيدة عن آفاق الفكر الاسلامي.

وظهرت بوادر الاستعمار في البلاد الاسلامية، فوقف علماء النجف الاشرف امام الاستعمار، وجهاً لوجه، واشتد الصراع بين العلماء والاستعمار ونجح المسلمون في القضاء على الاستعمار بعد صراع طويل، لكن المقاومة لم

---

(١) الوردي، د. علي، وعاظ السلاطين، ص ٣٩٨.

تتجاوز حدود الصراع والجهاد ولم تدخل دور التكوين والتخطيط، وبقى المسلمون يعانون في حياتهم الاجتماعية من فراغات هائلة، واستطاع الاستعمار أن ينفذ مرة جديدة في البلاد الاسلامية عن طريق هذه الفراغات، يسترجع منها مراكزها الاستراتيجية والدبلوماسية، وان يملأ هذه الفراغات عن طرق غير مشروعة.

ولم يخف هذا الطابع السلبي في تأريخنا المعاصر على دعاة الاصلاح والفكر في النجف الاشرف وما يتصل بها من مراكز الفكر الاسلامي، فقام دعاة الاصلاح هنا وهناك يدعون الى تهيئة الاجواء لمواكبة الاوضاع الاجتماعية وتخطيط الحياة الاجتماعية بالشكل الذي يملأ على المستعمر أي فراغ من الفراغات الهائلة التي نعانيها في حياتنا الحاضرة.

وتنفيذاً لهذه الخطة قام هؤلاء بتجربة تأسيس مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية تدرس فيها مناهج المعارف، بالاضافة الى المناهج الاسلامية وتجاري المدارس الحكومية في شكلها ومحتواها وتطورها وتوسعها، في الوقت الذي تحافظ فيها على جانب التوجيه الاسلامي.

«وفي سوريا تبنى هذه الدعوة الايجابية السيد محسن الامين فأسس في الشام مدارسه المعروفة باسمه والتي ماتزال قائمة تؤدي رسالتها الاصلاحية، وتبناها السيد شرف الدين في لبنان فأسس لها المدارس الجعفرية (بصور) فاخضعها للمناهج الحديثة وأحاطها بعنايته وتوجيهه»[1].

وفي ايران تبنى الفكرة الشيخ عباس علي الاسلامي ففتح المدارس الاسلامية وقد لاقت هذه المدارس اقبالا منقطع النظير من قبل الناس

---

(١) محمد تقي الحكيم: تمهيد وتقديم النص والاجتهاد، ص ٢٥.

وانتشرت في المدن والقرى بصورة واسعة.

وفي النجف الاشرف تبنى الفقيد الشيخ محمد رضا المظفر لأول مرة هذه الفكرة وحاول تحقيق هذه المهمة بما أوتي من امكانات واسعة.

وقد لاقى الشيخ المظفر في هذا السبيل كثيراً من العناء وبذل من نفسه الشيء الكثير حتى كاد أن ينسى نفسه في سبيل الوصول الى الغاية. وقد كان يشرف على سير التدريس بنفسه في المدارس الابتدائية والثانوية، ومن دون أن يشعر بذلك هوانا على نفسه، وكان يتفق أن يباشر التدريس في بعض الصفوف الاولية من الكلية وهو يحمل شهادة الاجتهاد ويزاول التدريس العالي.

كانت هذه المهمة من جملة الاسباب التي دعت الشيخ المظفر الى تأسيس جمعية منتدى النشر. ففي المادة الرابعة من نظام الجمعية مقاصد المنتدى تعميم الثقافة الاسلامية والعلمية والاصلاح الاجتماعي بواسطة النشر والتأليف والتعليم وغير ذلك من الطرق المشروعة[1].

وقد قدر للشيخ المظفر في هذا السبيل أن يحظى بشيء كثير من التوفيق يتخلله الفشل، ويخالطه الاخفاق، ولا يفتر شيء منهما من عزيمة الشيخ المؤسس رحمه الله تعالى.

«فمن أهم الاعمال التي توجه اليها تأسيس المدارس الدينية ايماناً منه بأن تربية الناشئة تربية دينية وتوجيههم الى العلم والاخلاق الفاضلة من أفضل الواجبات المفروضة على الرجل الديني في هذا العصر، وخير السبل القويمة لتحقيق أهدافه الاصلاحية في نشر الثقافة الدينية وبعث الروح

---

(١) نظام جمعية منتدى النشر، ١٣٧٠ هـ، ص ٢٣.

الاسلامية في النفوس وتقويم الاخلاق ومقاومة روح التمرد التي جلبتها النهضة الغربية الحديثة الاستعمارية بقصد الاستيلاء على معنويات البلاد الاسلامية وتحطيم القوى الكامنة في نفوس المسلمين حتى خلقت من تلك النفوس الابية عبيداً لاغراض الاستعمار من حيث يشعرون ولا يشعرون، وحتى لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن عزة الايمان الا خيالها.

وقامت محاولات في تأسيس المدارس على اختلافها عالية وابتدائية فنجح في بعض وفشل في بعض، وليس في ذكر مواطن الفشل من حزازة على مؤسسة تريد الخدمة الخالصة فتوضع العراقيل في سبيل محاولاتها»[1].

وفي سنة ١٣٥٧ تأسس صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه والادب العربي وبعض الفروع الاخرى واستمر الى آخر السنة وكان نجاحه مما شجعه أن يفتح في السنة ٥٧ / ٥٨ الدراسية ثلاث صفوف وقد نجح هذا المشروع في تلك السنة وبلغ طلابه ١٥٠ طالباً وحصل في خلال السنة اعترافاً من وزارة المعارف، وهو أول اعتراف تعطيه الوزارة لمدرسة دينية واعتبر هذا من بشائر النجاح للمشروع، غير ان وزارة المعارف بعد خمسة اشهر من الاعتراف عدلت فألغت اعترافها فأحدث هذا الالغاء رجة عنيفة في الاوساط الدينية بالنجف. وكاد أن يقضي هذا الالغاء على مشروع الدراسة لولا انهم حصلوا على الاعتراف ثانياً بعد سنة.

وقد تم له في سنة ١٣٦٤ بقوة الاستمرار ان يفتح أربعة صفوف باعتبارها قسماً متوسطاً للعلوم الدينية مع صف تحضيري قبلها. وفي سنة ١٣٥٧هـ حاول برغبة جماعة من أعيان البصرة أن يفتح فرعاً له هناك وفشلت المحاولة

---

(١) نظام منتدى النشر، طـ ٢، سنة ١٣٧٠، ص ز، ح.

لاسباب موضعية.

وفي سنة ١٣٦١هـ قدم جماعة من وجوه الكاظمية طلباً بفتح مدرسة ابتدائية دينية باسم مدرسة منتدى النشر الدينية واستصدرت من وزارة المعارف اجازة فتح المدرسة وقد نجح هذا الفرع نجاحاً باهراً.

ولهذا الفرع قسمان نهاري ومسائي وكل منهما في ستة صفوف.

وفي سنة ١٣٦٢هـ قدم جماعة من وجوه الحلة وبعض رجال الدين فيها طلباً بتأسيس فرع لمدرسة عالية للعلوم الدينية في بلدة الحلة فأمعنت الجمعية في تحقيق هذه الفكرة غير ان معارضة محلية غير منتظرة شوشت على القائمين بالعمل.

وفي سنة ١٣٦٣هـ نشأت فكرة تأسيس مدرسة ابتدائية دينية بالنجف لتزود المدرسة المتوسطة بمتخرجيها. وماتزال هذه المدرسة تؤدي رسالتها.

وقد الغيت بعد ذلك متوسطة منتدى النشر وتجدد فتحها كما قدمت جمعية منتدى النشر برئاسة الشيخ المظفر اقتراحاً الى وزارة التربية والتعليم بفتح اعدادية اسلامية تعد الطالب للدراسات الاسلامية وللعلوم العربية وقامت هي بتأسيس هذا الفرع في بنايتها الخاصة واعترفت بها وزارة التربية والتعليم وباشرت بمهمة التعليم في الفرع ابتداءً من سنة ١٣٨٣هـ.

وبناية منتدى النشر تضم في الوقت الحاضر مدارس أربع ابتدائية ومتوسطة واعدادية وكلية يهيء السابق منها الطالب للمدرسة التي تليها.

## سير الاصلاح داخل الحوزة

ومهما تحدثنا عن مكانة النجف العلمية والاجتماعية ومركزها الديني في العالم الاسلامي فهي كأي كائن آخر بحاجة الى أن تتطور، بنفسها، مع

الزمن،تواكب مسيرة الحضارة الصاعدة، في خطواتها، ليتاح لها ان تحتفظ بمكانتها العلمية والاجتماعية وليقدر لها ان تستثمر هذه المكانة في مجالات التثقيف والتوجيه الاجتماعي في ضوء من تعاليم الاسلام.

ولذلك وجدنا في الاستعراض السريع الذي قمنا به في هذه الدراسة ان مدرسة النجف الاشرف لم تتخلف طول هذه المدة الطويلة عن مواكبة الحضارة الفكرية ولم يبدو على هذه المدرسة انها كانت تحاول ان (تجر نفسها) يوما من الايام مع الموكب الضالع، من غير ان تجري هي بذاتها مع الاحداث أو تسبق الحضارة في هذا الخط.

وقد يلمح الباحث مع ذلك في الحياة الفكرية في النجف شيئا من الانكماش والانطواء على الذات في بعض الاطوار. ولكن لا يجد في شيء من ذلك ما يدل على التخلف والتأخر.

ولا ننكر وجود التخلف الفكري في الحياة الفكرية في النجف، في بعض الاطوار الا اننا لا نجد وجها لتعليل الانطوائية في الحياة النجفية بالتخلف الفكري. فقد تنشأ الانطوائية، بعكس ما يبدو لكثيرين، عن التقدم الفكري، والسبق الحضاري، وفي هذه الحالة لا يجد الانسان الوضعية الفكرية الملائمة للاندماج، فيتراجع الى نفسه وينطوي على ذاته.

فلا اجد على وجه المثال ما يبرر تفسير انطواء النجف على ذاتها بالتخلف الفكري في الدراسات الفقهية والاصولية، مع ما تبدو عليه من التوسع الهائل والعمق والضخامة ولا اريد ان ابرر مثل هذا الانكماش في المدرسة النجفية، فان الانطواء على الذات مهما كانت اسبابه يؤدي الى العزلة والانفصال عن المجتمع ومن ثم الموت، اذا لم تحاول ان تدمج نفسها في المجتمع الانساني من جديد.

ومهما يكن من امر، فقد وجد المعنيون بشأن الحوزة العلمية ان النجف تعاني بعض النقص والضعف، مهما اوتيت من امكانات ثقافية وتوجيهية واسعة في مناهجها الدراسية، ومن ثم في نشاطها الفكري والدعائي، ولمسوا هذا الضعف في مختلف وجوه النشاط النجفي.

ولكي تقوم النجف بأداء رسالتها الاسلامية على اوسع نطاق خير قيام، وتحافظ على مركزيتها التوجيهية في العالم الاسلامي يجب عليها ان تعالج هذا الضعف، مهما كان شكله. وادرك جمع من اعلام الفكر في النجف ضرورة العمل لتلافي الضعف والنقص في مناهج الدراسة والدعوة في النجف، وتوجيه هذه الدعوة وتطوير الدراسة فيها بالشكل الذي يناسب مكانة النجف الدينية وتتطلبه الاوضاع الفكرية والدعوتية في العالم.

ولم يكن امر الاصلاح يسيرا بالشكل الذي يبدو للقارئ أول الامر فقد كانت المحافظة والحيطة تطبع اعمال القائمين بشؤون التوجيه والفكر بطابعها الخاص. وكان الرأي العام يراقب سير الاعمال والحركات في النجف، مما جعل القيام بأي نشاط اصلاحي على جانب كبير من الخطورة.

وهذا التفكير كان في وقته، يشل كثيرا من الحركات والاتجاهات الاصلاحية، يقول المترجم له الشيخ محمد رضا المظفر في بعض ما عثرنا عليه من مذكراته المخطوطة:

«هذا هو التفكير الذي يبدو ظاهرا على بعض رجالنا الذين كانوا يحلمون باصلاح نواقص الدراسة العلمية في معاهد النجف الاشرف، فان هذه النواقص كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والاوقات والشهادات كانت تهدد المفكرين منا بشل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم ان اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر

الجديد فهزتها في بحر متلاطم بالميول. ولكن الوقت الذي كانوا يفكرون في هذا كان يعوقهم عن التقدم في العمل ذلك التفكير المؤلم».

ظهرت في هذه الفترة فكرة الاصلاح، وقامت محاولات اصلاحية بين حين وحين وتألفت لذلك في النجف الاشرف لجان ومجالس وجمعيات تهتم بهذا الشأن من شؤون الحياة النجفية. وقد واكب الشيخ المظفر هذه الحركات منذ ظهورها واشترك في كثير منها ووعى ضرورتها منذ بدء ظهورها.

فاسمع اليه عندما يؤرخ سير الاصلاح في النجف منذ نشوئه:

«لقد سايرت بنفسي فكرة الاصلاح حتى هذه الساعة ـ ويقصد بذلك عام ١٣٥٨هـ وهو عام تدوين هذه المذكرات، وسأعطيكها وليدة، نشأت في أحضان الاجتماعات الصامتة ومرّت عليه ادوار وتجارب غذتها حتى اشتد ساعدها ونمت نموا يناسبها، شأن الكائنات الحية. ولعلها الان في دور الشباب اليافع المتحفز يحتاج الى غذاء كثير من الجهود الجبارة والتضحية النادرة حتى يكمل رجلا سويا.

تألفت ابتداء من ١٣٤٣ هجرية أي قبل ١٥ عاما ـ ويقصد عن تاريخ تدوين مذكراته هذه ـ عدة جماعات اشبه بجمعيات سرية أو مجالس تمهيدية للتفكير في طريق الاصلاح واكتساب الشعور العام، واتذكر جيدا اني اشتركت في احداها وكنت كاتبها وأعضاؤها كلهم الشباب الديني ذلك اليوم، وجماعات اخرى هناك منها التي اتصلنا بها وهم اكبر منا طبقة اشترك اكثرهم بعد ذلك في «منتدى النشر» ومحورها الثلاثة المعروفون بالصفوة أو اضلاع المثلث المتساوي الاضلاع: «الشيخ محمد جواد الحجامي والشيخ محمد حسين المظفر والسيد علي بحر العلوم».

ولا أزال احتفظ بمحاضر جلسات جماعتي الاولى تلك وبمذكراتي

الخاصة عنها وعن غيرها، وهي على بساطتها تمثل لي مقدار التكتم والخوف الذي كان يساورنا وكان عملنا وتفكيرنا مقتصرا على تـفقد المـفكرين مـن اصحابنا الذين يحسون بالداء مثلنا، وبالرغم من مواصلة الجلسات والتفكير طيلة عام واحد لم نستطع ان نخرج صوتنا من غرفتنا الا بعض الشـيء، ولم نستطع ان نضم الينا اكثر من عشرة اعضاء فرق الزمن بين اكثرهم في بلاد نائية وقريبة ولا يزالون على قيد الحياة في النجف وخارجه يقرؤون كلامي هذا اذا اتفق لهم (ولابد). وما أدري هل يسمحون لي ان اذكر اسماءهم، ولكن صديقي العلامة الشيخ عبد اللّه السبيتي اعتقد انه لا يبخل علي بالتصريح باسمه الآخر! من هو؟ (فليسمح لي ان اذكر اسمه) الاخ بالروح العلامة الشيخ محمد كاظم آل الشيخ راضي، وعندما يقرأ اسمه الصريح هل يرتاح له، سأعرف ذلك عندما أعلم انه قرأه.

وفي عام ١٣٤٩ هـ عندما هاجمت النجف كتب عدائية حسست الشعور العام اتخذه جماعة منا (واكثرهم من هاتين الجماعتين السابقتين واعضاء في المنتدى ايضا الآن) وسيلة للنهضة بتأسيس جمعية للنشر والتأليـف، وكـان ينوي بعض القائمين بالحركة الذين اتصلت بهم استغلال هذه الجمعية اذا تمت لاصلاح الدراسة الدينية.

ولا أنسى ما قام به الاخ العلامة الشيخ علي ثامر (مدرس علوم البلاغة في المنتدى الآن)[1] من الجهود المشكورة في سبيل المشروع فقد كان هو من اول المفكرين فيه ومتتبعي هذه الحركة، وفي داره عقدت الاجتماعات التمهيدية ثم في دار العلامة السيد سعيد الحكيم وقد تمكن القائمون بالنهضة ان يشركوا

---

(١) يقصد من الآن تاريخ كتابة المذكرات.

معهم اشهر رجالات النجف وعلمائها ومفكريها حتى انـتخبوا هـيئة عـاملة تتألف من سبعة اشخاص وهيئة عليا من ثلاثة مجتهدين وباقتراح هذه الهيئة العليا نهض العلامة الاكبر المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي لتأليف تفسير مختصر للقرآن العظيم ليكون باكورة الاعمال اسماه (آلاء الرحمن) وعاجلته المنية قبل اكماله وخرج منه جزءان وطبعا، فكان هذا كل نتيجة هذه الحركة.

وجاء الدور الثالث من قبل ست سنوات ـ أي من حين تدوين المذكرات ـ وهو أبعدها مدىً واعظمها أثرا وذلك حركة «الكلية» كما يسمونها، لانها هزت النوادي النجفية. هزة عنيفة اشترك فيها الكبير والصغير والعالم والجاهل وقد بلغ الموقعون على ورقة شروط العمل المئتين هم رجال العلم بالنجف وأهل الكلمة فيه. ولكن يظهر أن هذه الكثرة في ابتداء العمل وقبل انتظامه مما ساعد على توقف الحركة فلم تصمد أمام العاصفة الهوجاء. وقد أعطتنا التجارب ان الاعمال الكبيرة يجب لاجل نجاحها ان تقوم بها جماعة محدودة تدير دفة العمل بتعاضد وتكاتف وتضحية على عكس ما هـو مشـهور، لان الشـعور بالمسؤولية يقوى في الفرد اذا قلت الجماعة، وهكذا كلما كـثرت الجـماعة ضعف الشعور بالمسؤولية. وهذه نظرية اجتماعية نستطيع ان نلخصها بقولنا: «ان عدد الجماعة يتناسب تناسبا عكسيا مع الشعور بالمسؤولية في الفرد».

واعتقد ان من اسباب فشل هذه الحركة ايضا ان الدعوة كانت لعمل كبير جدا ليس من السهل تحقيقه مرة واحدة مهما كان القائمون به والتدرج سنة اللّه في خلقه ولن تجد لسنة اللّه تبديلا.

فمن الضروري لمثل هذا العمل أن يبدأ صغيرا، ويـنمو بـمرور الزمـن اذا تعوهد من رجال مخلصين بالسعي والجهاد المتواصل ـ ولو تحققت يـومئذ هذه الفكرة لتغير مجرى تاريخ النجف الى غير ما نشاهد اليوم ولكانت علالي

العلم سامقة دونها ناطحات السحاب» الى آخر ما ذكره في مذكراته الطريفة المهمة التي لو قدر لها ان تنشر لافادت المكتبة الاسلامية ولافاد منها الباحثون الشيء الكثير.

## دور الشيخ المظفر في تطوير مناهج الدراسة والدعوة

رأينا فيما تقدم من الحديث ان الشيخ المظفر كان يحتل القمة من النشاط الاصلاحي في النجف الاشرف، وساهم في جميع الحركات الاصلاحية التي ادركها، وكان فيها العضو البارز الذي يشار اليه بالبنان.

الا ان الفكرة الاصلاحية على قوتها وايمان اصحابها بضرورة تحقيقها في الحوزة العلمية. كان يفقدها الوضوح والتفكير المنهجي في العلاج.

وقد قدر للشيخ فيما قدر له، بفضل تجاربه الطويلة، أن تتبلور لديه فكرة الاصلاح وتنظيم الدراسة والدعوة اكثر مما تقدم. واتيح له بفضل ما اوتي من نبوغ وحكمة في معالجة هذه القضايا ان يكشف عن الجذور الاولى للمشكلة، ويدعو اخوانه وابناءه باخلاص الى معالجة المشكلة من هذه الجذور والمشكلة فيما كان يبدو للشيخ تواجهنا في جهتين.

في مجال الدراسة وفي مجال الدعوة:

ففي مجال الدراسة لاحظ ان التدريس في مدرسة النجف الاشرف ينتظم في مرحلتين:

١ ـ مرحلة المقدمات والسطوح.

٢ ـ مرحلة البحث الخارجي.

وتعتبر مرحلة السطوح دوراً اعدادياً، بينما تعتبر مرحلة الخارج دوراً للتخصص في الاجتهاد.

وطبيعة هذه المرحلة تأبى أي تعديل في شكلها ومحتواها ولا يمكن اخضاع هذه المرحلة من الدراسة لاي تنظيم منهجي خاص. ولا تتبع الدراسة في هذه المرحلة تنظيماً خاصاً ولا تكاد تشبه الدراسة بالمعنى المنهجي الذي نفهمه من الدراسة.

ففي هذه الدراسة تقع مهمة الاعداد كله أو جزء كبير منه على الطالب نفسه. ويقوم الطالب في هذا الدور قبل حضور المحاضرة باعداد مادة البحث وصوغ هذه المادة بالشكل الذي يتطلبه البحث العلمي ومراجعة الكلمات والاقوال في ذلك، وما يصلح وجهاً لمناقشة ذلك كله، ويحضر البحث بعد ذلك ليصغي الى توجيه الاستاذ في صياغة البحث والمناقشة فيناقش الاستاذ فيما يبدو له من رأي! وبعد نقاش يجري بين الاستاذ والطالب يقتنع الطالب برأي الاستاذ أو ينزل الاستاذ عند رأي الطالب ويصحح الطالب في ضوء هذا التوجيه والاشراف ما كان يبدو على تفكيره من وجوه الضعف أو النقص.

وطبيعة هذا البحث لا تتحمل أي تحديد وتنظيم، خارج الحدود التي رسمناها له، ولا يمكن حصر النقاش أو تحديد البحث بحد خاص، كما لا يمكن ان يكون الامتحان داعيا الى البحث والدرس في هذا الدور.

فان الامتحان يبعث عادة على تحضير المادة التي يتلقاها الطالب في المدرسة. وطبيعة الدراسة الخارجية تتطلب التمحيص والبحث اكثر مما تتطلب التحضير والاعداد، ولا يمكن ان يبعث اليه غير الرغبة الى البحث.

وقد أدرك الشيخ المظفر لهذا وامثاله انه لا يمكن اجراء أي تعديل في هذا الدور من الدراسة والدور الاول وحده الذي يعاني شيئا من النقص ويحتاج الى شيء من التوجيه والتنظيم.

ولاحظ ان اسباب ذلك يرجع الى نقص في المادة وضعف في الاسلوب.

اما من حيث المادة فان المادة التي يتلقاها الطالب النجفي في هذا الدور من الدراسة ماتزال في كثير من الاحوال تقتصر على دراسة النحو والصرف والبلاغة والمنطق والتفسير والفقه والاصول، مع توسع في المادتين الاخيرتين.

وهذه المواد على ما لها من الاهمية في تكوين ذهنية الطالب لا تنهض وحدها بواجبات الطالب الرسالية من توجيه ودعوة وتبشير وتثقيف. ولا يستطيع الطالب أن يقتصر على هذه المادة التي يتلقاها في هذا الدور لو أراد القيام بدوره من التوجيه والدعوة على اوسع نطاق.

ولا يستغنى ان يتعرف على مناهج الفكر الحديث وبعض الدراسات البشرية وحقول من المعرفة التجريبية، كما لا يستغني من أن يملك الاداة البيانية الكافية من كتابة وخطابة للقيام بواجبه الرسالي في حقول الدعوة والتوجيه، ولو اراد الطالب النجفي ان يوفي هذه الحقول الجديدة من الفكر حقها من الدراسة والمعرفة فلا يتاح له بعد ذلك ان يتوسع هذا التوسع الهائل في دراسة النحو أو الصرف أو البلاغة، وما يحمل في طياتها من ابحاث طويلة هي الى الترف الفكري اقرب منها الى أي شيء آخر.

ومن حيث الاسلوب لاحظ الشيخ المظفر ان الكتب الدراسية التي يتعاطاها الطالب النجفي في هذا الدور لا يزال يطغي عليها طابع الغموض والتعقيد، مما يحوج الطالب الى أن يصرف جهدا كثيرا في فهم العبارة وما يظهر عليها من غموض وتعقيد. ذلك بالاضافة الى سوء التنظيم في تنسيق الابحاث.

واذا قدّر للطالب ان يصرف هذا الجهد الذي يبذله في تلقي المادة نفسها في شؤون أخرى من الفكر، مما يهم الطالب في اداء مهمته الرسالية لوفّر على نفسه

كثيرا من الجهد وفتح على نفسه ابوابا جديدة من الفكر.

ولاحظ ان الدراسة الفردية أو دراسة الحلقات المعروفة في النجف تدفع الطالب الى الشعور بالمسؤولية ازاء نفسه وتبعثه الى البحث والتحضير اكثر مما تبعثه الى ذلك الدراسة المنظمة التي تعتمد على الامتحان وعلى مسؤولية المدرسة، دون مسؤولية الطالب نفسه، الا ان هذا النظام لا يخلو كذلك من بعض النقص، فقد يقضي الطالب وقتا طويلا في العثور على الاستاذ الخاص، وقد لا تتوفر في الطالب الدواعي النفسية التي تبعثه على العمل الفردي ولا يشعر بالمسؤولية التي يشعر بها الآخرون.

ذلك فيما يخص تنظيم الدراسة. اما ما يخص الدعوة والتوجيه:

فقد وجد الشيخ المظفر أن اداة الدعوة المفضلة هي الخطابة والكتابة والدعوة الاسلامية تعاني ضعفا في هذين الجانبين.

اما فيما يخص الخطابة فقد كان رحمه اللّه يلاحظ ان أسلوب الخطابة في النجف بوضعها الحاضر لا يفي برسالة النجف بالشكل الذي يليق بمركزها الديني ولا يتم للخطيب ان يقوم بواجبه الاسلامي على نطاق واسع، ما لم يطّلع على آفاق الفكر الحديث وشؤون المعرفة التجريبية، بالاضافة الى الاحاطة الكاملة بشؤون الفكر الاسلامي من فقه وتفسير وحديث وتاريخ وما الى ذلك

وفيما يخص الكتابة الاسلامية كان يلاحظ ان مدرسة النجف ماتزال تعاني ضعفاً وتأخراً في هذا الجانب من رسالتها.

ومكانة النجف الدينية تتطلب منها ان تساهم في نشر الفكر الاسلامي على نطاق اوسع من الشكل الحاضر، وان تنطلق الدعوة الاسلامية منها عن طريق الكتابة والتأليف والصحافة والنشر على اوسع مجال، وأن يشمل هذا التيار الفكري، الذي ينطلق عنها والذي يحمل معه الايمان والاصلاح في وضوح

وجلاء، اقطار العالم واينما يحل انسان على ظهر هذا الكوكب. في الوقت الذي كان يلاحظ فيه ان مدرسة النجف لا تعوزها في كثير من الاحيان مادة الكتابة والبحث.

ومرجع هذا الضعف، كما كان يبدو له رحمه اللّه الى عدم تمكن الكاتب النجفي من التعبير، وفقدان الصياغة الادبية في الكتابات النجفية.. في ذلك الوقت.

ومن جهة ثانية كان يلاحظ ان طابع الفردية هو الذي يغلب على الكتابة النجفية والابحاث التي يعرضها الكاتب النجفي فهي اقرب الى الجهد الفردي منه الى الجهد الجماعي. فلا تبحث الشؤون الفكرية فيما عدا الفقه والاصول والتفسير بصورة عامة، ولا توجد لجان خاصة لتحقيق هذه الابحاث وتنقيحها ومراجعتها قبل عرضها على المطبعة.

ومن جهة ثالثة لم تتوفر في النجف في ذلك العهد مطابع مجهزة ولا دور جاهزة للنشر تليق بالمادة العلمية الخصبة التي تعرضها النجف على المطبعة.

يقول الشيخ رحمه اللّه في بعض حديثه: و(النجف) بلاد علمية من قديم القرون وعاصمة للمرجعية في التقليد والجامعة الاولى لدراسة العلوم الدينية والعربية، ولها سوق رائجة في الادب العالمي، وفيها في كل عصر مؤلفون وادباء، ولها في كل فن كتب وآثار، فهي من هذه النواحي غنية لا يضارعها بلد اسلامي آخر، ولا سيما قبل عصر النهضة الحديثة.

الا ان الذي ينقصها ـ ويجب الاعتراف به ـ تنظيم نشر ما تضم كنوزها من مؤلفات قديمة وحديثة وتوجيه التأليف على النحو المرغوب فيه في هذا العهد وتشجيع المؤلفين والناشرين في عصر راجت فيه الطباعة واتسقت حركات الثقافة واتسعت دور النشر، وحرمت منه بلادنا المقدسة. فهي على ما فيها من

مادة غزيرة منكمشة على نفسها لا تظهر آثارها كما يجب ان تظهر. وما يتفق ان ينشر في منتجاتها وان كان ليس بالقليل في حد نفسه لا يبلغ الواحد من المئة اذا اردنا المبالغة، على انه قد لا ينشر المنتخب والمختار من تلك المؤلفات، لان ما يطبع على الاكثر انما هو نتيجة جهود فردية يقوم بها اشخاص المؤلفين أو من يمت اليهم بصلة.

وهذا ما اوجب الظن عند البعض بأن ما يقال عن العلم والادب والتأليف في النجف الاشرف انما هو من نوع الدعاية الفارغة، وقد يكون هذا معذورا في ظنه، لان طفرة العالم العربي فضلا عن غيره في هذه الناحية، فناحية النشر والتأليف لم تدع المجال للعذر في تأخر النجف عن ذلك والمنتظر منها ان تصدر على الاقل كل يوم مؤلفا طريفا حسب ما يتناسب مع سمعتها. ولكن هذا الظن فيه من الحيف العظيم الذي لا يعرفه حقا الا نفس اهل العلم بالنجف أو من يتصل بهم اتصالاً ثقافياً.

وينسب الدكتور مهدي البصير في كتابه الحديث (نهضة العراق الادبية) طمس تلكم الآثار الى قلة ذات يد المؤلفين والادباء فتقعد بهم عن اذاعتها، وقد يكون هذا صحيحا الى حد ما، ولكن له سبب آخر هو ـ فيما أرى ـ سبب الاسباب، وهو عدم وجود مؤسسة كبيرة تفي بذلك، وبالاصح هو عدم وجود شعور عام عندنا يقذف بالرجال الى العمل المجدي في هذا السبيل وبتأسيس مشروع يليق بمكانة النجف العلمية والادبية، وقد كانت النجف تعتمد في نشر كثير من المؤلفات على مطابع ايران وتبرع المحسنين، ثم لما تأسست المطبعة التجارية فيها، ثم كثرت المطابع من هذا النوع، لم تكن وافية بالغرض ولا محققة للواجب لامور يطول شرحها، على ان هذه المطابع على كثرتها اليوم تدأب وتعج بالعمل ولا نراها بالغة شيئا مما يصبي اليه.

وكذلك اتيح للشيخ المظفر ان يدرس الحالة في النجف بموضوعية وشمول. ولكنه كان يعلم في نفس الوقت ان عرض المشكلة لا يؤدي الى شيء ما لم تتضافر الجهود مخلصة وصادقة لتلافي النقص.

وكان يعلم أن الاساليب السلبية لا تنفع لمواجهة الحالة والهدم لا يفيد، ولا ينهض بشيء، ما لم يكن هناك بناء وراء ذلك.

فقد اعتاد الناس ان يصغوا الى هذا النقد اللاذع الذي لا يبقي على شيء ولا يذر، واعتاد الناقدون ان يتناولوا شؤون الحياة بالنقد الساخر، الذي لا يعرف الرفق.

وما ايسر النقد لو لم يستدع العمل، وما اسهل الهدم، لو لم يتطلب البناء. كان الشيخ يدرك ذلك كله ويدرك ان الاصلاح لا يتم بالوسائل السلبية، ولابد من البناء والعمل المثمر الهادف. وكانت وجهات النظر متباعدة في ذلك الوقت.

فكان منهم المحافظ، الذي يخشى ان يمس الوضع الراهن بشيء وكان منهم الخارج على الوضع المتمرد عليه، الذي اعتزل الوضع فانقلب في نفسه هذا الشعور الى شعور بالعداء.

ولا يتاح لاحد ان يعمل قبل ان يجمع بين هذه الوجهات المتباعدة من الرأي.

ثم العمل الثوري الذي يصدر عن العاطفة لا ينفع في مثل هذه الموارد، بل يؤدي الى نتيجة معاكسة تماما، فان الحركات الثورية تؤدة في مثل هذه الاوضاع الى ابعاد القائمين بالعمل عن الوسط الاجتماعي وعزلهم عن النشاط الاصلاحي.

ولا يكاد ينفع العمل الاصلاحي في مثل هذه الظروف، ما لم يكن مقرونا الى دراسة الوضع دراسة موضوعية شاملة والى الرؤية والتدرج في العلاج.

وقد ادرك الشيخ كل ذلك وفكر في ذلك كله طويلا، وشمر عن ساعد الجد

ليخوض ميدان العمل، وهو يدري ان هناك عقبات صعابا تعرقل سيره في هذا الطريق. واول ما بدا له ايجاد جماعة واعية من اخوانه فضلاء الحوزة، تفهم ملابسات الحياة النجفية وتعي واقع الرسالة الفكرية الضخمة التي تحملها النجف.

وفي رابع شوال عام ١٣٥٣هـ المصادف ١٩٥٥/١/١٠م قدّم ثلة من الشباب الروحانيين (فيهم الشيخ) بيانا الى وزارة الداخلية يطلبون فيه تأسيس جمعية دينية بالنجف الاشرف باسم منتدى النشر مصحوبا بالنظام الاساسي وبعد اللتيا والتي اجازت الوزارة فتح المنتدى[١].

واعقبها بمحاولة لتنظيم الدراسة، وتبسيط الكتب الدراسية، وتوسيع المناهج الدراسية، ووجد ان الدراسة المنهجية هي الخطوة الاولى في هذا الطريق، ومهما كانت ضرورة الدراسة الفردية، ومهما قيل في جدواها فلابد ان ينضم الى هذا اللون من الدراسة لون آخر من الدراسة يعتمد على نظام خاص وبهذا الشكل حاول ان يحقق جزءا من الاصلاح.

وكان يتوخى من وراء ذلك تبسيط الكتب الدراسية وتنظيم الدراسة وتوسيع المناهج الدراسية بصورة منهجية، خاضعة لنظام خاص تعدّ الطالب لدخول الدراسات الخارجية والتخصص في الاجتهاد، أو التفرغ للخطابة والكتابة الاسلاميتين أو ما يتصل بذلك مما يرتبط برسالة النجف الاشرف. فوضع في سنة ١٣٥٥هـ (الخطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهاد بفتح الصف الاول الذي كان يدرس فيه اربعة علوم: الفقه الاستدلالي والتفسير وعلم الاصول والفلسفة، على شكل

---

(١) نظام منتدى النشر، آب / ١٣٧٠هـ.

محاضرات توضع بلغة سهلة واضحة، فتبرع بتدريس الاول والثاني الشيخ عبدالحسين الحلي، وتبرع بتدريس الثالث والرابع الشيخ عبد الحسين الرشتي، وكان تبرع هذين العلمين بالتدريس دراسة منظمة من اهم الاحداث في تاريخ النجف الاشرف، ويعدّ تضحية نادرة منهما تذكر مدى الدهر بالتقدير والاعجاب بروحهما الاصلاحية. ولم تأت العطلة الصيفية الا وتعطل هذا الصف ليعود بعدها، ولكنه ابى ولا يدري غير بعض اعضاء مجلس الادارة أكان اباؤه عن دلال ام ملال ام عن شيء آخر غير منتظر حتى من مثل هذين العلمين نفسهما. قاتل اللّه الشجاعة الادبية كيف تعز في اشد ظروف الحاجة اليها)[1].

(وفي سنة ١٣٥٧هـ بعد فتور وفترة مقدارها قرابة السنة تأسس صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه والادب العربي وبعض الفروع الاخرى، واستمر الى آخر السنة، وكان نجاحه مما شجع فتح ثلاث صفوف (في سنة ٥٧ ـ ١٣٥٨هـ) دراسية واعتبر الطلاب المتخرجون من الصف السابق طلابا للصف الثالث، وقد نجح هذا المشروع في تلك السنة نجاحاً باهراً وبلغ طلابه ١٥٠ طالباً واعترفت بها وزارة المعارف[2].

وتم له في سنة ١٣٦٤هـ بقوة الاستمرار ان يفتح اربعة صفوف باعتبارها قسما متوسطا للعلوم الدينية مع صف تحضيري قبلها وثلاثة صفوف اخرى عالية اعتبرت كلية للفقه، وقد نجح في خلال هذه المدة جماعة لا يستهان بها من الطلاب الاذكياء الذين اصبح قسم منهم مفخرة من مفاخر الجيل، في

---

(١) المظفر، الشيخ محمد رضا، منتدى النشر اعماله وآماله، ص ٨ ـ ٩.

(٢) نظام منتدى النشر، ١٣٧٠هـ، ح ط بتصرف.

ثقافتهم واقلامهم واخلاقهم الاسلامية، وجملة منهم لا يزالون يؤدون واجبهم المقدس في تربية الناشئة الدينية[1].

وفي سنة ١٣٧٦هـ بعد محاولات عديدة وتجارب طويلة اسس الشيخ المظفر كلية الفقه في النجف الاشرف، واعترفت بها وزارة المعارف العراقية سنة ١٣٧٧هـ واعتبرت شهادتها عالية يطبق على حاملها ما تنص عليه القوانين والانظمة فيما يتعلق بخريجي المعاهد العالية.

والعلوم التي تدرس فيها هي الفقه الامامي، والفقه المقارن واصول الفقه، والتفسير واصوله، والحديث واصوله (الدراية)والتربية، وعلم النفس، والادب وتأريخه، وعلم الاجتماع، والتاريخ الاسلامي، والفلسفة الاسلامية، والفلسفة الحديثة، والمنطق، والتاريخ الحديث، واصول التدريس، والنحو، والصرف، واحدى اللغات الاجنبية.

وقد بذل فقيدنا الشيخ حياته في سبيل تنمية هذه المؤسسة باخلاص وايمان يعز مثله في نفوس المجاهدين، فكان يقوم بتدريس الفلسفة الاسلامية، وادارة الصفوف عند غياب بعض المدرسين، في سائر العلوم. وكان في الوقت نفسه يعد مجلدات كتابه القيم (اصول الفقه) للتدريس في (كلية الفقه)، وفي حوزة النجف الاشرف باعتباره الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الاصول وكفاية الاصول، ويباشر مهام الادارة والعمادة والتأليف وحتى تدوين السجلات في بعض الاحيان.

وكم رأيت الشيخ، وهو يقوم بتدوين بعض سجلات الطلبة، أو مراجعتها، أو طباعة بعض الرسائل بالالة الطابعة.

---

(١) نظام منتدى النشر، ر ط.

وكذلك قامت المؤسسة على عاتق الشيخ الفقيد، واودعها حياته، وشيّدها بدقات قلبه، وبذل في سبيلها جميع امكانياته.

وحاول في الوقت نفسه ان يقوم بتبسيط الكتب الدراسية وازالة التعقيد والغموض عنها، ليبسر للطالب المادة الدراسية في الدرس من غير جهد ومشقة، وليوفر على الطالب كثيرا من الجهود التي يبذلها في هذا السبيل، ليصرفها في مجالات الفكر الرحبة.

وحرر لذلك كتابيه (المنطق) و(اصول الفقه) فحرر بهما هذين العلمين من غموض وتعقيد الكتب القديمة.

ومن انصاف الحق ان يقال ايضا ان هذين الكتابين يعتبران فتحا كبيرا في هذا الباب، ولا يجد الباحث عسراً كثيراً ليلتمس الجهد الكبير الذي بذله الشيخ الفقيد لتبسيط المنطق والاصول في هذين الكتابين مع صعوبة المادة في ذاتها.

ولا يقتصر الجهد التجديدي الذي بذله الشيخ المظفر في هذين الكتابين على تبسيط العرض، ففي هذين الكتابين وجوه أخرى من التجديد والتطوير لا توجد في الكتب الاخرى.

وقد حاول المؤلف أن يجاري في هذين الكتابين احدث المناهج التأليفية في كتب الدراسة الجامعية من العرض والتبسيط والتمثيل والتمرين والتنسيق والتعليق.

وحبذا لو قام اعلام الفكر من امثال الفقيد بالاشرف على تأليف الكتب الدراسية من جديد، وفق المناهج الحديثة.

وأذكر انني كنت أكتب بحثاً عن مشكلة الكتب الدراسية في النجف قبل سبع سنوات، لتنشره مجلة النجف في وقته، تناولت فيه كتاب (المنطق) يبعض النقد، والقيت هذا البحث قبل ان ينشر على صفحات مجلة (النجف) بقاعة

المحاضرات العامة في منتدى النشر، وكان الشيخ المظفر حاضراً في القاعة، فلم أجد عنده ما يدل على الاستياء. وحدثني فيما بعد بأن مثل هذه النقود لا تنهض بشيء، فيما يبدو له، ولا يفيد النقد ما لم يقترن بالعمل المثمر البنّاء، واكد لي أنه لم يؤلف (المنطق) و(الاصول) الا لهذا الغرض.

وبحوثه في الفلسفة الاسلامية لا تقل أهمية عن كتابيه (المنطق والاصول) لولا انها لم يقدر لها أن تطبع.

ذلك كله فيما يخص الدراسة. اما فيما يخص الدعوة والتوجيه الديني ففي مجال الخطابة كان الشيخ الفقيد يؤمن بأن الخطابة الحسينية تعتبر من أهم الوسائل الدعائية. ولا تكاد تفي الخطابة الحسينية بوضعها الحاضر بمهامها الرسالية[1]. ولابد من العمل لانقاذ الخطابة الدينية من وضعها الحاضر وتربية نشء من الخطباء يملكون الكفاءات التي تؤهلهم للخطابة الاسلامية، وتدريس العلوم التي يلزم الخطيب الالمام بها، والتي تتصل برسالته الاسلامية، بوجه من الوجوه.

وكان فتح معهد بهذا المستوى من أكبر آمال الشيخ الفقيد ففي التقرير السنوي الذي رفعه الى الهيئة العامة سنة ١٣٦٣هـ تصريح بهذه الفكرة فقد جاء فيه (كلية الوعظ والارشاد، تحول المتخرج أن يعظ باسم الدين وان يكون ذاكراً للحسين (ع) والمنوي السعي في فتحها في فرصة قريبة اذا سهل اللّه تعالى)[2].

وتألفت هذه اللجنة عام ١٣٦٣ هـ برئاسة خطيب العراق الشهير فضيلة

---

(١) لاحظ كتاب: من حديث الدعوة والدعاة لكاتب هذه السطور.

(٢) المظفر، منتدى النشر اعماله وآماله، مصدر سابق، ص ٢٢.

الشيخ محمد علي قسام وذلك على أثر التحسس العام الذي ظهر في جميع الاوساط المثقفة في العراق بضرورة تهذيب ناشئة خطباء المنبر الحسيني وتثقيفهم ثقافة عالية تليق برسالة الامام الحسين الشهيد (ع)، وقد باشرت هذه اللجنة أعمالها وشرعت بالفعل ـ قبل أن يتم منهاج المدرسة وفتحها رسمياً ـ في فتح صف بمثابة تجربة لعملها لدراسة الفقه والعلوم العربية واصول الدين واصول الحديث «علم الدراية» غير انه لم يمض على فتح هذا الصف التجريبي قرابة شهر واحد الا وثارت ـ على غير انتظار ـ زوبعة عنيفة على هذه اللجنة، بحجة انها تسعى لتحديد نوع خطابة المنبر الحسيني وتحديد اشخاص الخطباء، وبحجة انها تريد أن تقلص من ذكر الحسين (ع) وبغير ذلك من التهم الباطلة التي كانت تكال على هذه اللجنة في حين ان أعضاءها كلهم من مشاهير الخطباء وأتقيائهم الذين يحرصون كل الحرص على خدمة الحسين (ع) ومنبره، وما كان تأليفهم اللجنة الا بدافع الاخلاص للدعوة الحسينية، لغرض تثقيف ناشئة الخطباء، وقد تكهرب جو النجف بهذه التهم ضد اللجنة مما اضطر معه اصحاب اللجنة الى ان يسرعوا في الغائها تفادياً من وقوع ما لا تحمد عقباه. وكانت هذه الحركة الثائرة في وضع لم يدع للجنة المهلة لكشف نواياها ومبادئها، وبعد الغائها في فترة وجيزة استطاع رجال المؤسسة وجماعة من علماء البلد وزعمائها ان ينوروا الرأي العام بالدوافع الحقيقية لتلك الحملة وان يفهموا الفوائد العظيمة التي كانت تجنى من تأليف مثل هذه اللجنة وما يجب أن يذكر للتاريخ أن الذين تأثروا لهذه الحركة وقابلوا الجمعية كان أكثرهم مندفعين بدافع من سلامة النية ووفرة الايمان الصحيح لذلك كانوا أسرع استجابة من غيرهم الى قبول ما ادلى به موضحو

الفكرة من العلماء والزعماء)[1].

وقد امتحن الشيخ المظفر في هذه المرة امتحانا عسيراً، وكاد أن يقضي ذلك كله على حياة المؤسسة التي غذّاها الشيخ بروحه وفكره باخلاص، وقد أدى فعلا الى استقالة الشيخ محمد شريعة سكرتير المؤسسة وخسرت المؤسسة هذا العضو العامل، الذي كان يعتبر محوراً للحركة، في كثير من وجوه نشاط المؤسسة.

وكان الشيخ المظفر يبدو في هذه الفتنة ثابت الجأش مطمئن النفس شديد الايمان باللّه تعالى وقد اضطر ان يعتزل المجتمع أياما معدودة ولكن ريثما يهدأ الجو مرة اخرى، وليرجع الى المجتمع ثانية، بايمان اقوى ونفس مطمئنة، لا تعرف الملل، ولا تفهم الفشل.

وفي مجال الكتابة كان يحاول ان يجد من قاعة محاضرات المجمع العلمي وكلية الفقه منطلقاً للكتابة الاسلامية، وكان يبعث روح الكتابة والتأليف في نفوس اخوانه وأبنائه ويدفعهم الى ذلك دفعاً، ويؤلف لذلك اللجان ويعد له القاعات كما يعد له الوسائل الكافية للنشر.

استمع اليه في بعض حديثه:

(لما توسعت اعمال منتدى النشر بقى الغرض الاقصى وهو النشر والتأليف يشبه ان يكون مهملا في سجل اعماله ولكن ليس معنى ذلك انه مهمل حقيقة حتى تأسست له لجنة المجمع الديني منذ عامين تقريبا وهمّها الاول كان تهيئة اعضائها للتأليف والقاء المحاضرات النافعة ومبادلة الرأي فيما يجب العمل له في هذا السبيل فتوفقت ان تجعل يوم الجمعة من كل اسبوع يوماً لاستماع محاضرات الاعضاء بصورة متوالية ثم توسعت حتى كان اجتماع يوم الجمعة

---

(١) نظام منتدى النشر، ١٣٧٠هـ، ص ٤.

يشبه أن يكون يوما عاما يشترك في الحضور فيه جماعة كبيرة غير أعضاء اللجنة من أعضاء المنتدى وغيرهم وزادت على ذلك باقامة الحفلات والمحاضرات العامة في شتى المناسبات لفائدة العموم وقد شهدت النجف الاشرف في اسبوع الامام أمير المؤمنين (ع) بمناسبة ذكرى وفاته مهرجاناً لمدة اسبوع كامل منقطع النظير.

وقد فكرت بالاخير ان تعدّ مشروعاً ابتدائياً كباكورة لاعمالها التي تنويها وهو اعداد سلسلة مؤلفات صغيرة نافعة، فيها فائدة للخاصة وتثقيف للعامة)[1].

وقد قدر لهذا المشروع فيما بعد أن ينشر سلسلة من الكتب الاسلامية والتوجيهية النافعة، منها كتاب الشيعة والامامة للشيخ محمد حسين المظفر، والصادق والثقلان وتاريخ الشيعة له أيضا واسبوع الامام وهو يحتوي على مجموعة من المحاضرات التي القيت في الاسبوع الذي اقامته لجنة المجمع الثقافي بذكرى شهادة الامام (ع) في شهر رمضان ١٣٦٤هـ، والسقيفة للفقيد المظفر والزهراء للسيد محمد جمال الهاشمي ومالك الاشتر للسيد محمد تقي الحكيم.

وقدر لهذه المؤسسة، فيما قدر لها برعاية من الشيخ الفقيد أن تصدّر في هذه المدة مجلتين، تعتبران من خيرة المجلات العراقية هما مجلة البذرة ومجلة النجف، وقد تعهد طلابه كلتا المجلتين بالتحرير والاصدار، وهم يجدون في عطف الشيخ الفقيد وعنايته البالغة بهم وتوجيهاته الكريمة خير باعث على العمل.

وكان الشيخ المظفر محور الحركة في مختلف وجوه النشاط، وباعثها في كثير من الاحيان، ولم يظهر على حديثه أو قلمه طيلة هذه المدة ما يشعر بأنه

(١) مقدمة كتاب مالك الاشتر، ص ٨ ـ ٩.

شيء يذكر في هذه المؤسسة الا عندما يأتي حساب المسؤولية فيظهر الشيخ على المسرح ليتحمل هذه المسؤولية بنفس ثابتة وايمان قوي.

وما أكثر ما شوهد الشيخ يلقي دروساً على طلابه الناشئين أو يلقي عليهم نصائح وإرشادات أو يقوم بتوجيههم بنفسه في روحانية وبساطة.

ولم يعرف الشيخ الفقيد حيناً من الزمن معنى لكلمة (أنا) ولما يلابس هذه الكلمة من بغض وحب في غير ذات اللّه.

فقد كانت نفسه الكبيرة تضيق بما يسمى (بالبغض) ولا تعرف معنى للخصومة والعداء فاستمع اليه كيف يحدد موقفه من خصومه أو بالاحرى من خصوم المؤسسة (... وأنا أكثر اخواني عذراً لجماعة كبيرة ممن وقف موقف المخاصم لمشروعنا ولاسيما الذين نطمئن الى حسن نواياهم ويطمئنون الى حسن نوايانا).

وقلما نعهد ان تبلغ التضحية ونكران الذات فيمن رأينا من أصحاب الافكار هذا الحد... في سبيل الفكرة التي يؤمن بها الانسان.

وان من أحب الاشياء الي أن يصغ القارئ الى هذه الجملة الرقيقة التي تشف عن نفسية كاتبها الكبيرة (ونحن مستعدون لتضحية جديدة بأنفسنا فنتنحى عن العمل عندما نجد من يحبون أن ينهضوا به دوننا خصوصاً اذا اعتقدوا أنهم سيعطون المشروع صبغة عامة بدخولهم وليثقوا أنّا عمّال للمشروع أينما كنا ومهما كانت صبغتنا فيه ولا نريد أن نبرهن بهذا القول على حسن نوايانا. ان هذا لا يهمنا بقليل ولا كثير بعد الذي كان، انما الذي يهمنا أن ينهض المشروع نهضة تليق بسمعة النجف ويؤدي الواجب الملقى على عاتقه كاملا، وبأي ثمن، حتى اذا كان ثمنه أرواحنا. وما أرخصها في سبيل الواجب. وقد صرّحنا مراراً أننا لم نخط حتى الآن الا خطوة قصيرة في سبيل ما يقصد من أهدافه). ... وكذلك كانت قصة النفس الكبيرة.

# الفصل الثالث

## مبادئ وافكار

### ١ ـ الطائفية:

تعتبر الطائفية من اسبق المشاكل التي اعترضت سير الحياة الاسلامية، منذ وفاة صاحب الرسالة. ومن البديهي أن المفكرين من المسلمين لم يقفوا موقفا لا اباليا ازاء مشكلة متمكنة من جسم المجتمع الاسلامي، من نحو ذلك، دون ان يحاولوا ان يجدوا علاجا لها، طيلة هذه القرون الطويلة التي مرت على المسلمين.

ولم ينشأ الانشقاق بين صفوف المسلمين نتيجة لتصادم الافكار من داخل المجتمع الاسلامي وحسب. فقد كان الاستعمار من الخارج يحاول منذ وقت بعيد، أثارة الخلاف بين المسلمين وتجميد النشاط الاسلامي عن طريق ذلك، بشتى الوسائل. ولم يعدم المسلمون، طيلة هذه المدة، رجالا مصلحين يبحثون عن علاج صحيح لهذه المشكلة. وبنظرة عابرة في تاريخ الفكر الاسلامي نجد ان الحلول التي توصل اليها المصلحون من العلماء طول هذه المدة مختلفة في حد ذاتها، أشد الاختلاف.

فهناك من يؤمن بأن علاج المشكلة ينحصر في المقاومة السلبية للمذاهب الاسلامية المنحرفة عن الخط الاسلامي، ولا تفيد أي تقية أو أي مداراة في علاج المشكلة، ولا يكاد يرجع المسلمون الى الاسلام في صفائه ونقائه، يوم جاء به رسول اللّه (ص)، وكما يعرضه القرآن الكريم، الا اذا استعرضنا سائر المذاهب في ضوء البحث الحاد، المطبوع بالقسوة والشدة، قد يبلغ حدود

النقد اللاذع والسباب.

وقد افادتنا التجارب التي مرت على حياة المجتمع الاسلامي ان هذا اللون من العلاج، الذي يتمخض عن الشعور بالنقص والسلبية لا ينهض بشيء في هذا السبيل. وكل جهد يبذل في سبيل ذلك لا يعود على اصحابه بعائد، غير توسعة شقة الانشطار وتجديد حدة الخلاف بين صفوف المسلمين.

وكم اثير الخلاف بين المسلمين، على هذا المستوى، في الهند وباكستان وايران والعراق، ولم ينهض بشيء، ولم يعد على المسلمين بعائد، بل أدى الى خلق مشكلات جديدة، كان المسلمون في غنى من اثارتها.

وهناك من يؤمن، قبال الطائفة الاولى ان علاج المشكلة يتم عن طريق الاغفال والاهمال. فلو اجمع المسلمون على ان يتناسوا ما بينهم من الخلاف ويتنازل كل واحد منهم للآخرين عما يعتقده، في سبيل توحيد الكلمة، لم يبق بين المسلمين شيء من هذا الخلاف الذي يعكر بين حين وآخر صفو حياتهم.

ولعلنا نحن في غنى من ان نرد على هذه الوجهة من الرأي، فليس من الهيّن ان يتناسى الانسان رأياً يؤمن به، أو يهمل شأناً من شؤونه الفكرية، أو يتنازل للآخرين عن افكاره الخاصة التي يؤمن بها.

وليست العقيدة والفكرة شيئا يمكن التنازل عنه. ومهما حاولنا ان نضحي في سبيل وحدة الكلمة، فلا يمكن للمؤمن ان يهمل كيانه الفكري الخاص، ويذوب في كيان آخر لا يؤمن به.

وقد اثبتت لنا التجارب فوق ذلك كله، ان هذا الشيء لا يمكن تحقيقه، وان امكن ذلك برهة قصيرة من الوقت، فلا يستمر وقتا طويلا من الزمان.

وكان الشيخ محمد رضا المظفر من هؤلاء المفكرين الذين كان يعنيهم شؤون المجتمع الاسلامي وقضاياه، وممن حاول ان يتخذ موقفا محددا من

قضية الطائفية.

وقد افادته التجارب، فيما افادته من شؤون الحياة، ان كلا من الاسلوبين المتقدمين لا يعودان بشيء على المجتمع الاسلامي. فلا يكاد ينفع المسلمين هذا الموقف السلبي الذي يتخذه البعض من المفكرين من مسألة الطائفية. كما لا يمكن ان يتغاضى المؤمن عن عقيدته الخاصة، ويتنازل عنها في هذا السبيل. وفيما جرى له من حديث مع الدكتور احمد امين على صفحات مجلة الرسالة ذكر المظفر ان تناسي المشكلة أو التنازل عن شؤونها امر لا يمكن الموافقة عليه.

وحتى لو أمكن المفكرين من الطائفتين، السنة والشيعة، ان يتنازلوا عن شيء من عقائدهما الخاصة، فمن يضمن لهما الرأي العام؟

وهل يتيسر لهؤلاء ان يكيفوا الرأي العام، ويتبرعوا عن جانبه بهذه التنازلات الرخيصة، بمثل هذه السرعة؟.

والطريقة التي كان يؤمن بها المظفر، ويعمل لها كان شيئا بين هذا وذاك، لا يتسم بالسلبية التي لا تعرف الرفق والاناة، ولا تتسم بالاهمال الذي يفقد أي كيان فكري، فقد كان يؤمن بجدوى البحث والنقاش على ان يجري في جو طليق، لا يعكر صفوه التعصب والتقليد، ولا يتسم بطابع السلب والعداء.

فلا يكاد يجدي مثل هذه المواقف السلبية في البحث والنقاش ان لم يؤد الى خلق مشكلات جديدة. ولا يمكن المساهلة في التسامح أو التضحية لتوحيد الكلمة الى حد التنازل عن العقيدة أو الانصهار في كيان عقائدي آخر.

والعلاج الصحيح يتأتى عن طريق الدراسات العلمية والابحاث الحرة التي تجري في جو طليق، مشبع بالحرية الفكرية بعيد عن التعصب والتقليد، وفي ضوء الكتاب والسنة والتفكير الحر.

وقد حاول المظفر ان يسير على نهج ذلك في معالجة قضية الطائفية في كتابيه السقيفة وعلى هامش السقيفة، وفيما كتب في هذه المسألة من دراسات ومقالات، وما حاضر فيها من محاضرات في النجف وخارج النجف.

ولئن كان التوفيق الذي لقاه كتاب السقيفة من بين الكتب الاخرى، التي تعنى بهذا الشأن يدل على شيء... فانما يدل على مدى توفيق هذا الموقف من مواقف العمل في معالجة مشكلة الطائفية.

## ٢ ـ القيادة الدينية:

لكي تستطيع القيادة الدينية ان تقوم بمهامها القيادية، من توجيه وادارة، ينبغي ان تحفظ استقلالها وكيانها الخاص، بعيدا عن أي كيان آخر، ولا تذوب أو تندمج في أي كيان سياسي أو اجتماعي آخر، مهما كلف الامر.

ولا تكاد ان تندمج القيادة الدينية أو الزعامة في كيان سياسي أو اجتماعي، حتى تفقد استقلالها وتأثيرها الخاص في قلوب المؤمنين، ودورها في التوجيه الديني والادارة.

وتبدو أهمية هذا الجانب، أكثر من أي حالة أُخرى، اذا وسعنا من مدلول القيادة الدينية بشكل يشمل جميع وجوه النشاط الاجتماعي، ووضعنا القيادة الاسلامية على القمة من النشاط الاجتماعي والشؤون السياسية والاجتماعية.

وانطلاقاً من هذه النقطة نستطيع أن نصحح كثيراً من الانحرافات التي ظهرت على القيادة الدينية عند المسلمين والمسيحيين. فقد ارتبطت (البابوية) التي تمثل القيادة المسيحية بالحكومات المسيحية، منذ العصور الوسطى وما بعدها، وفقدت كيانها الديني الخاص، واضطرّت في كثير من

الاحوال أن تساير الجهاز الحاكم وتتكيف مع ما يتعاقب على البلاد من حكومات. وكانت الحكومات المسيحية هي التي تموّن (الفاتيكان) بالمال في غالب الاحوال، وكانت الكنيسة تعتمد على ما تدرّ عليها الحكومات من مال... ومثل هذا الموقف بطبيعته يتطلب من الفاتيكان أن ينصهر في كيان الدولة، ويعتمد عليها، في وجوه نشاطه الديني.

ولم تسلم القيادة الدينية في الاسلام في بعض أدوار التاريخ الاسلامي من مثل ذلك. ولا نزال نجد ملامح من ذلك في بعض المراكز الاسلامية التي تعتمد في الجانب المادي من حياتها على الحكومة.

وكما أن الارتباط بالحكومة تفقد القيادة الدينية استقلالها الخاص كذلك الارتباط المباشر بأهواء الجمهور ورغباتهم يفقد القيادة الدينية طابعها الديني المستقل، ويجعلها أداة طيعة بيد الجمهور، يميلون بها كما يريدون، ويلعبون بها كما يشاءون في خدمة مصالحهم الخاصة.

ولامر ما قلت: (الارتباط بأهواء الجمهور). فالقيادة الصالحة هي التي ترتبط بالجمهور، ولا تنفصل عنه، ولا تعيش بمعزل عنه، ولكن على أن تكون القيادة هي الموجهة للجمهور، وهي التي تفرض رأيها على رغبات الجمهور، وتصحح من آرائهم وتعدل من اتجاهاتهم، لا أن تكون هي في ركب الجمهور، وآلة طيعة بأيديهم.

والقيادة الدينية الصالحة هي التي تحفظ استقلالها وكيانها الخاص، من أن تذوب في أي كيان سياسي أو اجتماعي آخر.

### ٣ ـ التربية:

يشكو كثير من الطلبة سوء قابلياتهم الفكرية والذهنية وضعف امكانياتهم

العقلية. وقد يبلغ ذلك ببعض الطلبة حد اليأس من الدراسة، فيترك الدرس جانباً ويلم بغيره من شؤون الحياة.

ويعتقد أن الله تعالى خلق الناس مختلفين من حيث الامكانات العقلية والقابليات الذهنية. وان كان الله لم يقدر لاحد شيئاً من هذه المواهب الفكرية التي تؤهل الطالب للدراسة، فلا يفيد معه أي سعي واجتهاد.

وهذه فكرة خاطئة، وخطرة في نفس الوقت، تقضي على آمال كثير من الطلاب، وتحرم الانسانية من جهود كثير من أبنائها العاملين.

وقد كان الشيخ محمد رضا المظفر يؤمن بأن اختلاف القابليات الفكرية لدى الطلاب لا يبلغ هذا الحد الذي يبدو لبعض الطلاب (الضعفاء). وما يبدو لهم ضعفاً في الامكانيات الفكرية والذهنية لا يتجاوز الجهل بطريقة التفكير، وممارسة النشاط الذهني، والتواني عن الاستمرار في هذا النشاط. وكم وجدنا من الطلاب الاغبياء الذين كانوا مثاراً لسخرية زملائهم في الغباوة وضعف التفكير... قد بلغوا بنتيجة الجهد المتواصل والاستمرار حد النبوغ، وخدموا الانسانية بما كشفوا من آفاق المجهول.

### ٤ ـ الالقاب:

واللقب من الظواهر الاجتماعية الهامة، وذات دلالة عميقة على ذهنية المجتمع. ومن حدود الالقاب ومداليلها وضخامة محتواها نستطيع أن نكشف عن شخصية الامة الفكرية.

فالامم التي تعاني شيئاً من الفقر الفكري تهتم بالالقاب أكثر من غيرها، كما أن الالقاب الضخمة تشيع عادة بين الامم المتأخرة فكرياً.

والامم المتقدمة تجد من آفاق النشاط الممتدة، أمامها ما يغنيها من هذه

الالقاب الفارغة التي لا تدل على شيء.

يقول الشيخ المظفر في بعض مذكراته عن بعض هذه الالقاب الضخمة التي تعطى الى الاشخاص من غير حساب (ثم ابتذل هذا اللقب المسكين في الحقبة الاخيرة من قرننا الحاضر فصار يلصق بأشباه العلماء ممن لهم أدنى شأن اجتماعي.

ولقد صارت هذه الالقاب بعد ـ ابتذالها ـ لا تعني معانيها الحقيقية فالتجأوا الى اضافة مثل كلمة الكبير الى العلامة[1].

ومن العجيب أن هذه الاضافات أيضاً ابتذلت ففقدت مدلولها فالتجأوا الى القاب ضخمة أُخرى مثل (الامام الاكبر) و....

وهذه الالقاب التي فرغت من مداليلها لا تدل الا على فراغ من يجب أن يتحلى بها).

ولا شك أن التسابق الى الالقاب ظاهرة اجتماعية تلفت النظر، وأكثر ما تدل على التأخرالاجتماعي والفقر الروحي فيتفنن الناس بالقشور، ويزهدون بالحقائق واللباب. وهذا مركب نقص اجتماعي، أكثر منه مركب نقص فردي. بصّر الله تعالى المسلمين بعواقب امورهم.

قس هذا الافتتان بقصة تأبى السيد الشريف المرتضى من لقب «علم الهدى» الذي منحه اياه الوزير محمد بن الحسين بن عبد الرحيم سنة ٤٢٠هـ، فامتنع من قبوله قائلاً: (الله الله في أمري، فان قبولي لهذا اللقب شناعة علي)،

---

(١) كلمة العلامة فيها دلالتان على المبالغة بالصيغة والهاء فأي محل لكلمة نكبير، والعلامة أكبر من الكبير.

حتى رفع الوزير أمره الى الخليفة القادر ففرضه عليه[1].

* * *

أما بعد: فهذه خلال من حياة الشيخ المظفر، وملامح من شخصية قدمتها الى القارئ الكريم، بمثل هذا العرض السريع ليتبين من خلال تلك الظلال وهذه الملامح، صورة ناطقة من الجهاد الاسلامي، والاصلاح، والاخلاص.

وهذا كل ما أملكه من دموع الوفاء.. اسكبها على تربته الزكية، وكلما يسعدني به النفس من شوق وحنين اليه.

## شكر واعتراف

لا يسعني وانا اختم هذا الحديث الا ان اشكر لأخوي الكريمين الفاضلين العلامة الشيخ محمود المظفر والعلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي على ما تفضلا به عليّ من عون في نشر هذا الكتاب وكتابة فصوله، وان اعترف لهما بالجميل في انجاز هذا الحديث.

---

(١) راجع: مجالس المؤمنين، ص ٢٠٩.

# المحتويات



## الفصل الاول
## الحياة الفكرية في النجف

## الفصل الثانى
## النشأة الفكرية والمشروع الاصلاحي

## الفصل الثالث

## مبادئ وافكار

## المؤلف

◘ الشيخ محمد مهدي الآصفي من مواليد النجف (العراق) عـام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .

◘ درس في الحوزة العلمية في النجف الى جانب دراساته الاكاديمية في كلية الفقه .

◘ فقيه واستاذ دراسات عليا في الحوزة العلمية في مدينة قم .

## من آثاره المنشورة

١ ـ حقيقة الحرية، ١٩٦٠م.

٢ ـ المسائل الفقهية.

٣ ـ اثر العلوم التجريبية في الايمان بالله .

٤ ـ من حديث الدعوة والدعاة .

٥ ـ المدخل الى دراسة التشريع الاسلامي .

٦ ـ الامامة في التشريع الاسلامي .. تجديد في بحث الامامة، ١٩٦٣م.

٧ ـ ترجمة كتاب نظرية السياسة والحكم في الاسلام للعلامة الطباطبائي، ١٩٦٥م.

٨ ـ ساعات الفراغ، ١٩٦٧ .

٩ ـ العلاقة الجنسية في القرآن الكريم، ١٩٦٨ .

١٠ ـ سلسلة في رحاب القرآن (٦ جزء)، ١٤١١هـ.

١١ ـ ولاية الامر، ١٤١٦ .

١٢ ـ النظام المالي وتداول الثروة في الاسلام .

١٣ ـ الاجتهاد والتقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته، ١٩٩٦م .

١٤ ـ الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف، ١٤١٩هـ.

اضافة الى بحوث ودراسات كثيرة منشورة في الدوريات المحلية العالمية.

# قواعد النشر في سلسلة رواد الاصلاح

رواد الاصلاح سلسلة دورية تعنى بدراسة مشاريع الاصلاح التي نهض بها الرواد المسلمون وتطمح الى رقي وعي الفرد والامة الى مستوى المسؤولية الرسالية، لذا تبدي المؤسسة استعدادها لنشر الدراسات التي تتوافر فيها الشروط التالية :

١ ـ أن تكون المواد منسجمة مع الخط العام للمؤسسة، من حيث التخصص والتوجه الفكري والثقافي .

٢ ـ مراعاة الجانب المنهجي والعلمي، بعيداً عن لغة الاستعراض، وتحمل افكاراً جديدة .

٣ ـ اعتماد الاصول العلمية المتعارفة في الكتابة، كالدقة في استعمال المصادر والمراجع وتثبيتها بعناوينها الكاملة واسماء كتّابها وارقام صفحاتها، مع اسم الناشر ومكان النشر ورقم وتاريخ الطبعة، مع قائمة بالمصادر منفصلة عن الهوامش .

٤ ـ من حق المؤسسة اجراء تعديلات على المادة واختصار بعض فقراتها او الطلب من الكاتب القيام بذلك .

٥ ـ يمنح الكاتب مكافأة رمزية، وفق ضوابط النشر، او حسب العقد المبرم بين الطرفين بعد الموافقة على نشره، علماً أن تاريخ النشر يخضع للضوابط الفنية .

٦ ـ يرفق مع مخطوطة الكتاب :

أ ـ ملخص للكتاب يشتمل على اهم ما ورد فيه من (٥ ـ ١٠) صفحات .

ب ـ نبذة عن حياة الكاتب العلمية مشيراً فيها الى اهم اعماله .

اصدارات

## مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي

أ ـ مجلة التوحيد، كل شهرين .

ب ـ كتاب التوحيد، دوري .

ج ـ كتب متفرقة .

د ـ ملاحق متفرقة .

هـ ـ مجلدات مجلة التوحيد (١٧) مجلداً .

و ـ سلسلة رواد الاصلاح، صدر منها :

١ ـ منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الاسلامي عبد الجبار الرفاعي

٢ ـ الامام الخميني والمشروع الحضاري الاسلامي الدكتور سمير سليمان

٣ ـ الشيخ محمد رضا المظفر .. وتطور الحركة الاصلاحية في النجف

الشيخ محمد مهدي الآصفي